الهجاء في شعر دعبل بن علي الخزاعي
دراسة في الموضوع والفن

أ.م.د. نجم عبد الله غالي
كلية التربية – جامعة ميسان

تقديم:

يهدف البحث الى الوقوف على فاعلية التعبير بالهجاء في شعر دعبل بن علي الخزاعي ، وارتباط ذلك التعبير بكونه رائد التزام وتجديد في الشعر العربي لانتمائه الى مذهب ال البيت (عليهم السلام) والتزامه هذا المذهب طوال حياته حتى سميّ لأجل هذا (الشاعر الهجّاء).

الشاعر وعصره :

دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، ينتهي نسبه الى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، اسمه محمد ، وكنيته أبو جعفر ، لكنه لقب لـ (دعبل) ومعناه الناقه التي معها ولدها أو البعير المسن أو الشيء القديم[١].

ولد في الكوفة ١٤٨هـ ونشأ فيها ، ومما تجدر الإشارة اليه ان الكوفة عاشت الندم بعد فاجعة كربلاء ، وتوارث أبناؤها هذا الندم الامر الذي جعلها موطن الثورات على الحكم الاموي ، وبعد مجيء العباسيين فوجئ الكوفيون بجور بني العباس اذ وضع هذا الحكم الكوفة ((تحت رقابة صارمة ، وفرض عليها نوعاً من الحكم العرفي حال بين الطائر الحبيس وبين الانطلاق ، ولكن الكوفة ظلت على الرغم من ذلك وطن الثورة الروحي))[٢].

كان دعبل في مطلع حياته تواقاً الى التمرد والافلات من قيود السلطة ، وقد أدى به ذلك للخروج من الكوفة مطارداً ، وهذا يشير الى نزعة تمرد تأصلت فيه ، زد على ذلك انه كان من اسرة معروفة بالشرف والتقى والولاء لآل البيت ، فقد كان عبد الله بن بديل بن ورقاء واخواه عبد الرحمن ومحمد رسل النبي (ص) الى اليمن وكانوا هم واخوهم عثمان من فرسان الامام علي (ع) الشهداء في صفين ، أذ قال له الامام علي (ع) يوم صفين احمل على القوم فحمل وهو ينشد :

لـــم يبـــق غيـــر الصـــبر والتوكـــل والتـــرس والـــرمح وســـيف صـــيقل
ثـــم التمشـــي مـــن الرعيـــل الأول مشـــي الجمـــال فـــي حيـــاض المنهـــل

فقاتل حتى استشهد[٣].

لقد أتيح للشاعر بعد ان خرج فاراً من الكوفة الى بغداد ان يلتقي الشاعر مسلم بن الوليد ، فقد كان يقول الشعر ويعرضه على مسلم الى ان قال قصيدته المشهورة ذات المطلع ((اين الشباب واية سلكا)) التي اعجب بها مسلم قائلا

له : ((اذهب الان فاظهر شعرك كيف شئت ولمن شئت))[٤]. وحقاً ان هذه القصيدة تمثل النضج الفني للشاعر ، وقد اعجب بها العامة والخاصة حتى انها غنيت بين يدي الرشيد وطرب لها ، فسأل عن قائلها فقيل له دعبل الخزاعي فأمر الرشيد بإحضار عشرة الالاف درهم وخلعة من ثياب وقال لغلامه اذهب بها الى خزاعة وأسأل عن دعبل واعطه إياها ، واطلب منه الحضور الى قصرنا ، ولما حضر دعبل أمره بملازمته واجرى عليه رزقا سنياً[٥].

وهكذا توفرت الفرصة للشاعر ليكون شاعر السلطان لكنه لم يغتنم هذه الفرصة فلم يمدح الرشيد ولا البرامكة الا بعد نكبتهم لانه كان على حب ال البيت ، ويقول أبو الفرج : ((ولم يكن مرهوب اللسان ، وخائفاً من هجائه للخلفاء ، فهو دهره كله هارب متوارٍ))[٦]. وقال له إبراهيم بن المدبر : ((انت اجسر الناس عندي واقدمهم حيث تقول : ((اني من القوم...)) فقال يا أبا اسحق : ((انا احمل خشبتي منذ أربعين سنه فلا اجد من يصلبني عليها))[٧].

ويتولى المعتصم الخلافة ، فصار معظم الجند وقادتهم من غير العرب. فأغتنم والي الكوفة في زمن المتوكل اسحق بن العباس بن علي العباس ، الفرصة متعاوناً مع مالك بن طوق التغلبي الذي هجاه دعبل ، فأمسك بدعبل وهو شيخ مسن واراد قتله ثم عدل الى تعذيبه واهانته ، واطلق سراحه ليرسل مالك خلفه رجلاً يتعقبه ويغتاله في قرية من قرى الاهواز فضرب ظهرة بعكاز مسموم فيموت دعبل ويدفن في تلك القرية))[٨].

يموت دعبل ويستريح من ظلم الطغاة وغدرهم ويبقى ابد الدهر رائد التزام وولاء لآل بيت الرسالة مدافعاً عن الحق متخلياً عما عرضه عليه الرشيد من عطاء ، ولعل تائيته الفريدة التي انشدها الامام علي بن موسى الرضا(ع) وغيرها من قصائده في حب ال البيت وهجاء مبغضيهم خير دليل على تجسيد صدق ولائه وقوة عقيدته.

المبحث الأول

دوافع الهجاء في شعر دعبل الخزاعي

المطلع على ديوان دعبل بن علي الخزاعي يجد ذلك واضحاً وجلياً إذْ أن غرض الهجاء كان بارزاً ورئيساً في شعره مما جعله يشكل ظاهرة واضحة للعيان منحهُ البعض لقب : ((الهجَّاء)).

وقد وصفه أبو الفرج الأصفهاني بذلك قائلاً : ((هجَّاء ، خبيث اللسان ، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ووزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة أحسن إليه أو لم يحسن ...))[٩] وقال عنه الدكتور عبد الكريم الأشتر : ((غضب دعبل وهجاؤه لا يقف في طريقهما شيء))[١٠].

وقد ذكره الدكتور شوقي ضيف قائلاً : ((والحق ان الهجاء طبعاً ركب في نفسه حتى لنراه يهجو بجانب كل من أسدى إليه صنعه زوجته وأخاه رزيناً وأهل مدينة قم بل الناس جميعاً))[١١].

وعلى هذا الأساس لابد من و جود عدة أسباب أو دوافع تدفع دعبل إلى ان يكثر من قول الهجاء في شعره ... وفي هذا المبحث سوف نستعرض بعض الأسباب التي كما يبدو أنها أثرت في دعبل الخزاعي وجعلته ((هجاَّء ، سليط اللسان ، مولعاً بمثالب الناس))[١٢].

ومن هذهالدوافع :-

أولاً : الدافع النفسي :

لاشك في أن النفس هي مصدر أعمال الإنسان وتصرفاته وأقواله كافة بما فيه الشعر (سلوك الإنسان) أي كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك يرجع إلى نفسيته وذاته.

فالأدب هو جزء من ذلك السلوك فلا بد من وجود تأثير نفسي على الأدب أو ترابط بينهما إذ أن ((العلاقة بين الأدب و النفس لا تحتاج إلى إثبات لأن ليس هناك من ينكرها ،وإن النفس تصنع الأدب ، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس ، و النفس التي تتلقى الحياة لتصنع الأدب))[١٣].

وعلى الأظهر ان نفسية شاعرنا الخزاعي كانت شديدة السخط على الآخرين ناقماً على المجتمع.. فهو يرى أن الناس لا ينتفع بهم إلا بالقوة والقسوة فكان ينظر نظرة عدائية إلى الآخرين.

قال أبو خالد الخزاعي الأسلمي لدعبل : ((ويحك قد هجوت الخلفاء والوزراء ووترت الناس جميعاً ، فأنت دهرك كله شريد طريد هارب خائف ! فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك؟ فقال : ويحك اني تأملت ما تقول فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم إلا على الرهبة ... وعيوب الناس أكثر من محاسنهم ، وليس كل من شرَّفته شرف ، ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك ، فإذا رآك قد أوجعت عرض غيره وفضحته اتقاك على نفسه وخاف من مثل ما جرى على الآخر.

قال أبو خالد فضحكت من قوله وقلت : والله هذا مقال من لا يموت حتف انفه))[١٤].

كان دعبل يرى أن كيانه وشهرته لا يمكن أن تبنى بالمديح والتذلل للآخرين بل كان يراه يبنى بالهجاء ،وانتحقق شهرته وذياع صيته بين الآخرين يكون بوساطة الهجاء والسب والقذف.

أضف إلى ذلك كان دعبل يعد هذا الغرض وسيلة يحيط بها نفسه وتجعل الآخرين يخشونه ويخافون سلاطة لسانه وفحش أقواله ومن ثميتقيه الناس ولا يتعرض له أحد.

((وربما أتخذ الشاعر من الهجاء وسيلة يحيط بها نفسه بالرهبة والخوف في عصر مضطرب تتصارع فيه الأهواء ويعترك الخير والشر في طباع أبنائه ، وصار المرء لا يرد عنه السوء إلا لسان حاد أو من منصب خطير أو مال وفير))[١٥].

لقد كان دعبل على الأظهر يعاني من نفسية قلقة ومضطربة وذلك واضح في شعره ، فتارة يمدح وتارة أخرى يهجو الذي مدحه ويسلبه كل فضائله النفسية وصفاته الخَلقية والخُلقية.. وهذا الاضطراب والقلق لم يكن على مستوى شخص واحد مدحه ثم هجاه ، بل تكررت هذه الحالة على عدة أو مجموعة أشخاص يمدحهم ثم بعد فترة يهجم عليهم ويصوب إليهم سهام الهجاء التي لن تخطئ من توجه نحوه.

مثلاً في إحدى قصائده يمدح دعبل قبيلته خزاعة ويفتخر بها وينوه بفضلها ومزاياها فيقول :

إذا غزونـــــا فمغزانـــــا بـــــأنقرة ... وأهـل سـلمى بسـيف البحـر مـن جُـرُتِ
هيهـــات هيهـــات بـــين المنزلينلقـــد ... أنضـيت شـوقي ، وقـد طولـت ملتفتـي
أحببـتُ قـومي ، ولـم أعـدل بحـبهم ... قـالوا :تعصـبت جهـلاً قـول ذي بهـتِ
لهـم لسـاني بتقريظـي وممتـدحي ... نعـم وقلبـي ، ومـا تحويـه مقـدرتي

الى ان يقول :

قـومي بنـو مـذحج ، والأزد أخـوتهم ... وآل كنـدة ، والاحيـاء مـن علـةِ
ثبـت الحلـوم ، فـأن سـلّت حفـائظهم ... سـلوا السـيوف فـاردوا كـلّ ذي عنـتِ[١٦]

وفي موضعٍ آخر ونتيجة للقلق الشديد والتناقض الذي كان يعانيه دعبل نراه يهاجم ويهجو قبيلته خزاعة التي لها العزة والشأن والرفعة والتي ما دام أفتخر وتفاخر بها بين القبائل ، فيقول :

اخزاعـــة غيـــر الكـــرام فاقصـــروا ... وضـــعوا عمـــائمكم علـــى الأفـــواهِ
فـــدعوا الفخـــار فلســـتم مـــن أهلـــه ... يـــوم الفخـــار ففخـــركم بشـــياهِ[١٧]

ومرة أخرى يقول فيهم :-

أخـــزاعُ إن ذُكِـــرَ الفخـــارُ فامســـكوا ... وضـــعوا أكفكـــم علـــى الأفـــواهِ
لا تفخـــروا بســـوى اللـــواطِ فإنمـــا ... عنـــد المفـــاخر فخـــركم بســـتاهِ[١٨]

فكانت خزاعة ضحية لهذا الجانب النفسي اللامستقر في شخصية دعبل الخزاعي ، كذلك ان أقرب الناس إلى دعبل لم يسلم من قسوته ولسانه وشدة أسلوبه فهو يهجو زوجته قائلاً :

أعـــوذ بـــالله مـــن ليـــل يقربنـــي إلـــى مضـــاجعةٍ كالـــدَّلك بالمســـدِ
فقـــد لمســـت معراهـــا فمـــا وقعـــت -ممـــا لمســـت - يـــدي إلا علوتـــدِ
فـــي كـــل عضـــوٍ لهـــا قرنْتصـــكُ بـــه جنـــبَ الضـــجيعِ فيضـــحيواهي الجســـدِ[١٩]

وكذلك قال يهجو أخاه رزيناً :

مهـــدت لـــه ودي صـــغيراً ونصـــرتي وقاســـمته مـــالي ، وبوأتـــه حجـــريِ
وقـــد كـــانَ يكفيـــه مـــن العـــيشِ كلـــهِ رجـــاءٌ ويـــأسٌ يرجعانـــإلى فقـــرِ
وفيـــه عيـــوبٌ لـــيس يحصـــي عـــدادها فاصـــغرها عيبـــاً يجـــلُّ عنـــالفكرِ
ولـــو انـــي أبـــديتُ للنـــاس بعضـــها لأصـــبح مـــن بصـــق الأحبـــة فـــي بحـــر
فـــدونك عرضـــي فـــاهج حيـــاً وإن أمـــت فاقســـم إلا مـــا (.....) علـــى قبـــري[٢٠]

من ذلك نجد أن دعبلاً لم يسلم منه حتى أقرب الناس إليه (زوجته واخوه) أي أهل بيته وذلك كله ناشئ من قلة الثقة بالآخرين ومن نفسه القلقة فـ ((القلق وعدم الثقة في أي مرحلة من مراحل الحياة تفقد الإنسان الاعتقاد بوجود أمور طيبة وصالحة في الحياة))[٢١].

فلجأ إلى استخدام (لسانه)بوصفه وسيلة تندر بالآخرين مما جعل أغلبهم يتقيه مخافة لسانه وسطوته الحادة لذلك ((إن حالة الشعور بالنقص حافز قوي لإنسان لأن يكيف حالة وذلك بأن يحاول إيجاد حل للمشكلة التي يشعر بالنقص إزاءها ولكن العيب في الحل أو أسلوب التعويض))[٢٢].

فمن الناحية النفسية لجأ دعبل إلى البحث عن حل للمشكلة (عقدة النقص) فعدّها أمراً طبيعياً ولكن الخلل في الأسلوب الذي استخدمه في حل مشكلته ألا وهو الهجاء بوصفه مريضاً عما يشعر به من عقدة نفسية.

إن هذه العقدة ربما كانت تسبب له السخرية والاستهزاء من قبل الآخرين أو كأنه يحس إن الآخرين ينتقدونه ويستهزئون منه ونتيجة لشعوره بهذا النقص فقد جعله ناقماً ساخطاً على المجتمع يسئُ الظن بالناس وبأفعالهم فاستخدم لسانه أداة لتخويف كل من يتعرض له ... فصار الناس يخافونه ، فإذا صوب به شخصاً أو قبيلة أذاع بين الآخرين عيوبها وقبائحها.

وجاء في ديوان دعبل بقلم المحقق : ((إن الشر لما تطاول بين دعبل وأبي سعد خافت بنو مخزوم لسان دعبل فنفوا أبا سعد عن نسبهم وأشهدوا بذلك على أنفسهم وكتبوا كتاباً بذلك ، فقال دعبل :

هـــم كتبـــوا الصـــك الـــذي قـــد علمتـــه عليـــك وســـنوا فـــوق هامتـــك الفقـــرا[٢٣]

وعليه فإن الشعراء يندفعون إلى الهجاء بفعل عوامل كثيرة مختلفة أبرزها الغضب والحسد ومركب النقص والمنازعات والخصومات الشخصية إلى جانب روح النقد لدى الإنسان[٢٤].

ثانياً : الدافعُ القَبَلي.. :

تعد القبيلة هي الأساس في المجتمع العربي آنذاك الذي بدوره يتكون من عدة قبائل مختلفة بعضها تكون الأقوى والأشد بأساً والأخرى تكون قبائل صغيرة ذات طاقات محدودة لا تستطيع حتى حماية نفسها من اعتداء القبائل الأخرى الأمر الذي جعلها تدخل في معاهدات حلف ، وحماية مع القبائل الأخرى ذات النفوذ والقوة.

فكان الفرد الذي ينتمي إلى القبيلة القوية يفتخر ويتباهى بذلك وأحياناً يصل به الحد إلى أن يعتدي على الآخرين بفعله أو لسانه مستنداً إلى قوة أبناء قبيلته بحيث لا يستطيع أحد أن يرده أو يردعه لأنه يرى أنه الأكثر جاهاً وبأساً وكل القبائل الأخرى تخشى سطوة قبيلته وغضبها وثورتها.

لقد أثرت القبيلة في حياة الإنسان العربي تأثيراً كبيراً فاصبح كثير الولاء لها متعصباً لها فكانت القبيلة ((مظهراً من مظاهر الوطن عند العربي يعيش في حماها ويدافع عن حياضها))[٢٥].

وكما هو معروف أن الشاعر هو أحد أبناء القبيلة ولسانها وحصن من حصونها يقاتل ويدافع عنها بلسانه كما يحارب الآخرون بسيوفهم ورماحهم.. فكان لسانه هو سيفه يطعن به بأنساب الآخرين وأعراضهم وينزل بهم أبشع الصفات وأقبحها ويجردهم من كل الفضائل الأخرى.

أما في العصر العباسي فقد زاد اعتماد العباسيين على بعض القبائل ذات النفوذ بسبب الخصومات والمنازعات السياسية في محاولة من العباسيين لكسب الأطراف ذات الأهمية أو من أجل جعل رؤساء القبائل وقادتها إلى جانبهم[٢٦].

فأعطوهم بعض المناصب وبعض المراتب في الجيش العباسي أو إمارة بعض المناطق الأمر الذي جعل هذه القبيلة أو تلك تزداد قوةً ونفوذاً فأصبحت مؤثرة حتى على الحكم والسلطة بل إن بعض الخلفاء يخشى من سطوة أو غضب إحدى القبائل وخاصة كما ذكرت إذا كانت ذات نفوذ وقوة وكثرة في عدد أبنائها لأن هذه القبيلة بنفوذها الكبير وبطشها قد تزعزع الأمن في البلاد والاستقرار في أرجاء الدولة ، وبما أن الشاعر لسان القبيلة والمدافع عنها ((أخذ الشعراء يناقشون شؤون السياسة العامة ويجادلون في أمر الخلافة ويتحزبون لهذا أو ذاك من الزعماء الثائرين وبهذا قوي الشعر السياسي أو الهجائي قوة عظيمة))[٢٧]. وشاعرنا دعبل بن علي كما هو معروف وواضح من قبيلة خزاعة أصلاً لا ولاءً[٢٨]. وخزاعة هي إحدى قبائل اليمن المعروفة وهي من عرب الجنوب وكان دعبل دائم الافتخار بها يعتز بالقحطانية لها ويفضلها على العدنانية ((وكان دعبل من خزاعة وخزاعة قبيلة قحطانية لها شرف.. في الجاهلية والإسلام فغير عجيب أن تثور عصبيتها فتدفع شاعرها إلى مفاخرة العدنانية ومنافستها))[٢٩].

وخير دليل على صحة نسبه وتعصبه قصيدته النونية المشهورة التي جلبت إليه استياء الكثيرين ونقدهم له ولم يعارضه أحد عليها ، وكانت هذه القصيدة رداً على قصيدة الشاعر الكميت بن زيد الأسدي الذي ذكر قصيدة يشيد فيها بالنزاريين والعدنانيين وفيها تعريض لقبائل اليمن.. وقد لام أكثر الناس دعبلاً على قصيدته لأن هذه المعارضة والرد حدثت بعد مدة طويلة من وفاة الكميت.

وقد جاء في مطلع قصيدة دعبل :-

أفيقي من ملامك يا ظعينا ... كفاكِ اللومَ مرَّ الأربعينا
ألم تحزنك أحداثِ الليالي ... يشيبنَّ الذوائبَ والقرونا
أحيي الغر من سرواتِ قومي ... ولا حييت عنايا مدينا
فأن يك آلُ اسرائيلَ منكمْ ... وكنتم بالأعاجم فاخرينا
فلا تنس الخنازيرَ اللواتي ... مُسخن مع القرود الخاسئينا[٣٠]

إلى نهاية القصيدة وهي طويلة وفيها يتعرض دعبل للعدنانية وقبائلها.

فخزاعة قبيلة عريقة كبيرة ((والتي هي ملء الأرض : من مصر إلى الشام إلى العراق إلى خراسان إلى غيرها))[٣١]ولا سيما أنها كانت ذات نفوذ فهي التي ظهر فيها الأبطال والقادة والأعيان وفحول الشعراء.. فأمير مصر آنذاك في زمن دعبل كان خزاعياً وهو المطلب بن عبد الله الخزاعي ، قائد جيش المأمون من خزاعة وهو طاهر بن الحسين الخزاعي وغيرهم. من ذلك نستنتج ان خزاعة كانت ذات جاه وشرف بين القبائل ونفوذ في السلطة الحاكمة. وكان معاوية بن أبي سفيان في عصر الدولة الأموية كثير ما يشيد بخزاعة بوصفها أهم القبائل العربيةواشجعها واقواهاولها وجود كبير على ساحة السياسة العربية في ذلك الوقت[٣٢].

وعلى الأظهر ان دعبلاً استمد قوته وجرأته من قوة قبيلتهونفوذها فهو لا يخشى ولا يخاف من أحد ، يهجو كل من يتعارض معه سواء كان خليفة أم وزيراً أو من الرعية غير مهتم بقوة السلطة والحكم أو بقوة القبائل الأخرى. ((إن دعبلاً يستوحي جرأته من انتمائه القبلي بالمعروف إن دعبلاً خزاعي أصلاً لا ولاءً. وإن خزاعة عنده أرض صلبة يقف عليها وينتمي إليها لينازع عصره مفتخراً أو هاجياً))[٣٣].

ففي إحدى قصائده التي يهجو بها المأمون يظهر لنا واضحاً أن دعبلاً حمى نفسه بانتمائه القبلي قبل كل شيء فهو يقول :

أيسومني المأمون خطة جاهلٍ ... أو ما رأى بالأمسِ رأسَ محمدِ
نوفي على هام الخلائفمثلما ... توفي الجبال علىرؤوسالقردد
ونحلُّ في أكناف كلِّ ممنعٍ ... حتى نذلل شاهقاً لميصعدِ
إن التراتِ مسهدٌ طلابها ... فأكفف لعابك عن لعاب الأسود
لا تحسبن جهلي كحلم أبي،فما ... حلم المشايخ مثل جهل الأمردِ
إني من القوم الذين سيوفهم ... قتلت أخاك وشرفتك بمقعدِ
شادوا بذكرك بعد طول خموله ... واستنقذوك من الحضيض الأوهد[٣٤]

إن فخر دعبل نراه واضحاً في هذه الأبيات فهو يذكر للمأمون بأنه من خزاعة التي قتلت أخاه الأمين وجعلته أي المأمون خليفة على المسلمين فالتي أعطته منصب الخلافة وقتلت أخاه قادرة على قتله أيضاً. وفي ذلك إشارة إلى قائد الجيش الذي دبر عملية قتل الأمين وهو طاهر بن الحسين الخزاعي.

وربما كان لنسب دعبل الصريح الذي لا غبار عليه تأثير آخر دفع دعبلاً إلى أن يطعن في أنساب الآخرين وينال منهم والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

كـــــلُّ يـــــوم لأبـــــي سعـــــــ ... دٍ علـــــــى الأشـــــــعار غـــــــاره
فهـــــو يومـــــاً مـــــن تمـــــيمٍ ... وهـــــو يومـــــاً مـــــن فـــــزاره[٣٥]

وكذلك قوله يهجو مالك بن طوق :

ســـألت عـــنكم يـــا بنـــي مالـــك ... فـــي نـــازح الأرضـــين والدانيـــة
طـــــراً،فلم تعـــــرف لكـــــم نســـــبة ... حتـــــى إذا قلـــــت : بنـــــي الزانيـــــة
قـــــالوا :فـــــدع داراً علـــــى يمنـــــةٍ ... وتلكهـــــا دارهـــــم ثانيـــــة[٣٦]

وكذلك قوله :

ســـــــأله عـــــــن أبيـــــــه ... فقـــــــال دينـــــــارَ خـــــــالي
فقلـــــت : دينـــــار مـــــن هـــــو ... فقـــــال : والـــــي الجبـــــالِ[٣٧]

ولعل في ما ذكرته من تعريض دعبل بأنساب الآخرين دليلاً على اعتزاز دعبل بنسبه الصريح بوصفه فضيلة نفسية تضمن له المكانة الاجتماعية المرموقة. إذن كان لخزاعة أثر كبير في جرأة دعبل وعدم خوفه من الآخرين بوصفه أحد أبنائها والناطق بلسانها.

ثالثاً : الدافع الديني (التشيع) :

دعبل هو أحد أبناء قبيلة خزاعة المعروفة بولائها لأهل البيت ووقوفها إلى جانب الإمام علي عليه السلام في معاركه ضد أهل الشام ، حتى قال عنها معاوية بن أبي سفيان : ((خزاعة بلغوا في الولاء لعلي بن أبي طالب حداً لو أمكن لنسائهم محاربتنا لحاربتنا)) [٣٨].

ومن جانب آخر لا يمكن لأحد أن ينكر أن دعبل بن علي الخزاعي كان ذا عقيدة اشبعت روحه وشغل نفسه في الدفاع عنها حيث أن جل أشعاره تتصل بعقيدته وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً ، فقد عاش دعبل حتى (ضحك المشيب برأسه) وبلغ من العمر ما يقارب مائة عام مؤمناً بهذه العقيدة مدافعاً عنها ، كثير الاحتجاج لها ، يكافح ويناضل من أجلها ، يتحدى أشد الناس إذا استدعته عقيدته. لذلك ساعده ما كان يتمتع به من جرأة وصدق وشجاعة إلى جانب قوة الإيمان التي كثيراً ما كان يذكرها وينوه بها في أشعاره وأقواله ((التي كانت أغلب أغراضها تستغرقها منازع حب آل البيت ، واستحقاقهم للخلافة والإشادة بهم في صور محفوفة بالجلال والاحتجاج لهم والحملة على خصومهم حملات شعواء ...ودعوة ملحة إلى الثأر لشهدائهم الذين لا يكف عن بكائهم بكاءً حاراً يجعل شعره أشبه ما يكون ببكائيات خالصة مغرقة في اللوعة والحزن))[٣٩].

يقول دعبل :-

ســـــأبكيهمُ مـــــا حـــــجَّ للهِ راكـــــبٌ ... ومـــا نـــاح قمـــريٌ علـــى الشـــجراتِ[٤٠]

وكذلك قوله :-

سـأبكيهم مـا ذَّر فـي الأرض شـارقٌ ونـادى منـادي الخيـر بالصـلوات
ومـا طلعـت شـمس وحـان غروبهـا وبالليـل أبكـيهم وبالغـدواتِ[٤١]

ومنيتصفح ديوان دعبل يجد أن ديوانه ينقسم على قسمين. القسم الأول ما قاله في أهل البيت ، والقسم الثاني ما قاله في مختلف الأغراض الشعرية الأخرى.

إن دعبلاً كان ذا عقيدة إسلامية صادقة ويتخذ مذهب التشيع منهجا له ..فهو كثير الولاء لأهل البيت (ع).

رابعاً : الدافع الاجْتَماعي.. :

إن بداية ظهور الدولة العباسية يعد حدثاً مهماً في تطور المجتمع العربي الإسلامي وتدرجه أكثر فاكثر نحو الحياة المدنية وحياة الحضارة والترف.. فأخذ النظام القبلي الذي كان أساس الحياة العربية بالاضمحلال وبدأ العرب يبتعدون شيئاً فشيئاً عن القيم والعادات الاجتماعية والتقاليد العربية القبلية بسبب انجرافهم في المظاهر المادية وما تحويه من نعيم وترف ((فاصبح المال يحتكم في القيم العامة ... ولهذا اندفع الناس وراء المال يتشبثون إليهبمختلف الوسائل لا يمنعهم دين ولا يردعهم رادع))[٤٢].

أما من ناحية تركيبة المجتمع العربي آنذاك فأن المجتمع العباسي انقسم على ثلاث طبقات.. طبقة الخاصة وتشمل الخلفاء والأمراء والوزراء والقادة والولاة وكبار رجال الدولة ، وطبقة متوسطة ينسلك فيها رجال العلم والأدب والمغنون والتجار وموظفو الدولة ، وطبقة العامة وهي الطبقةالواسعة والكبيرة والتي ينضوي تحتها الفلاحون والحرفيون والمعوزونوالمحرومون[٤٣]فالطبقة الحاكمة تمتعت بالحياة الناعمة الهادئة وملذات الحياة الحضارية الجديدة فمال هؤلاء المترفون إلى اقتناء كل ما يكمل سيادتهم وحياتهم الناعمة من العبيد والجواري والقصور ((وقد أسرف الخلفاء وحاشيتهم فبذخوا وتلذذوا ما شاء لهم على حساب الطبقات الفقيرة التي كانت تنوء بالجوع بسبب كثرة الضرائب وارتفاع الأسعار))(٤٤) ولقد أنفق الخلفاء المال على المطربين والمغنين و ((قيل إن الهادي أعطى إبراهيم الموصلي في يوم واحد ١٥٠ ألف دينار ، وغنى ابن محرز في حضرة الرشيد..وأمر له بمائة ألف درهم ،،واقتدى الواثق بجده فوهب أسحق وقد غنى في حضرته مائة ألف درهم))[٤٥].

وكذلك أنشغل الخلفاء في تقريب العناصر غير العربية والاعتماد عليها في ادارة شؤون الدولة العربية من الجانب السياسي والاجتماعي حيث اعتمدوا على الفرس وعلى الأتراك الذين اصبحوا اكثر نفوذاً من العرب أنفسهم واستأثروا بالحياة السياسية والاجتماعية.

كل هذه الأمور أدت إلى اختلال التوازن الاجتماعي وأنفاق أموال الدولة على ملذات الخلفاء والأمراء على أتباعهم الأمر الذي أدى إلى زيادة الفوارق الطبقية واتساع أحوال البؤس والفقر والحرمان.

هذه باختصار نبذة موجزة عن أحوال المجتمع العباسي الذي عاش فيه شاعرنا دعبل بن علي الخزاعي اذ نشأ وشبّ وترعرع في الكوفة التي تعد من أهم الحواضر العربية آنذاك والتي تضم في

منتدياتها ومجتمعها رجال العلم في الحديث والفقه واللغة وكذلك كانت تضم حتى ذوي الميول المتطرفة من دعاة الزندقة والإلحاد والمجون..فقضى سني حداثته فيالكوفة والمعروف عن دعبل إنه كان كثير السفر والترحال والتنقل من بيئة إلى أخرى أما بتأثير العامل السياسي والمطاردة من قبل السلطات العباسية أو ربما إنه كان يحب السفر والتنقل..وإن هذا السفر الكثير ساعده على التعرف على مناسبات كثيرة وعلى مواقف جديدة ومختلفة جعلته يهجو أغلب هذه المواقف التي لا تروق له إما استهزاءً أو نقداً اذ ((يؤدي الهجاء عملاً مفيداً اجتماعياً وأخلاقياً وذا قيمة))[٤٦]. فكان هجاء دعبل لغرض إصلاح هذه المواقف الاجتماعية.

لقد أثر الإحساس بفقدان الهوية العربية تأثيراً كبيراً على شعر دعبل الخزاعي حيث يرى نفسه طريداً شريداً في مجتمع بعكس الموالين الذين ينعمون بالاستقرار ، فوجّه دعبل نقده الشديد لهذه الحالة بصورة مباشرة بقصد إصلاح هذا الأمر الذي أتخذه الخلفاء[٤٧].

فهو يقول في أبيات وجهها إلى المعتصم :

لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم ... وصيف وأشناس وقد عظم الكرب
وفضل بن مروان سيثلم ثلمة ... يظل لها الإسلام ليس له شِعب
وهمك تركي عليه مهابة ... فأنت له أمٌ وأنت له أبُ[٤٨]

فكثير من المواقف الاجتماعية أدت إلى أن يقول دعبل فيها الهجاء وينتقدها بقصد إصلاحها وتصحيح الخطأ الذي أرتكبه الآخرون ((وقد يعمد الشعراء إلى هجاء بعض الظواهر الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي والتي حلت عليه بصورة دخيلة كما في الزندقة والمجون أو ما تعرضت له البلاد الإسلامية من كوارث مثل الفقر وتضور الشعب جوعاً))[٤٩].

هكذا كان شعور دعبل اتجاه الظواهر الاجتماعية غير الملائمة فقد هجا بعض العادات غير المرغوب بها والصفات المذمومة مثل البخل وقلة الوفاء.فهو يقول في هجاء أحد البخلاء:

وإنَّ لهُ لطباخاً وخبزاً ... وأنواعَ الفواكهِ والشرابِ
ولكن دونه حسبٌ وضرب ... وأبوابٌ تطابق دون بابِ
يذودون الذباب يمرُّ عنه ... كأمثالِ الملائكةِ الغضابِ[٥٠]

وكذلك هجا دعبل الشخص الذي يكون له وجهان :

عدوٌّ راحَ في ثوبالصديق ... شريك في الصبوح وفي الغبوقِ
... يسرك مقبلاً ويسوءُ غيباً ... كذاك يكون أبناء الطريقِ[٥١]

وله في الصديق الذي لا ينفع :

خليلي ماذا أرتجي من غدٍ امرئ ... طوى الكشح عني اليوم وهو مكين
وأن امرءاً قد ضن منه بمنطق ... يسد به فقر امرئ لضنين[٥٢]

وهناك الكثير من الصفات غير الحميدة التي أنتقدها دعبل بصورة مباشرة مثل قلة الأمان ، ضعف علاقات الجوار ، عدم الوفاء بالعهد ، قلة الأصدقاء المخلصين وعدم إكرام الضيف وغيرها[٥٣].

وقد هجا دعبل الناس كافة حيث يقول :

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم ... الله يعلم أني لم أقل فندا

أني لا فتح عيني حينأفتحها ... على كثيرٍ ولكن لا أرى أحدا[٥٤]

وهكذا كانت هذه الدوافع قد أثارت حفيظة دعبل وشاعريته وأدت إلى حدوث ثورة نفسية وشعرية على الآخرين..فلجأ دعبل إلى الهجاءبوصفه أسلوبا للتعبير عن معاناته والمعارضة والاحتجاج..فهذه الدوافع أدت به إلى أن يتناول أغلب أمور الحياة أو كلها إن صحّ التعبير بواسطة نظرة فاحصة مع إيمانه العميق بأن هؤلاء الناس لا ينفع فيهم إلا القول الشديد والفاحش لأنهم قد قلبوا الحق باطلاً والعدل اعوجاجاً والصلاح فساداً والعلم جهلاً.

المبحث الثاني

موضوعات الهجاء في شعر دعبل الخزاعي

كانت بداية العصر العباسي حافلة بالتطورات الكبيرة في مظاهر الحياة المختلفة ، إذْ كانت الحياة العباسية ذات اتجاهات سياسية واجتماعية وفكرية وثقافية ودينية واسعة ومتباينة في أهدافها عملت على خلق أجواء جديدة ذات تأثير على الحياة العامة بما فيها الأدب والشعر ((يتأثر الأدب والشعر بصورة خاصة بنظم الحكم ونوع الحكومة والحالة السياسية التي تكون عليها الأمة))[٥٥].

ومن الطبيعي أن يكون لهذا التأثير في الأوضاع أثر بالغ على الشعر والشعراء وذلك بوصف الشاعر هو أحد أبناء المجتمع إضافة إلى أن الشعر هو تعبير عن مجرى الأحداث في الحياة العامة. كل ذلك أدى إلى ظهور أغراض شعرية جديدة وإلى حدوث تغيير في تناول الأغراض الشعرية السابقة بما فيها الهجاء. فعملت الدوافع الفردية والقبلية والسياسية على تعدد أحزاب الهجاء فالمنازعات الشخصية التي تثيرها العواطف والأهواء وتضارب المصالح بكل أشكالها والخلافات الجماعية والاضطرابات السياسية وما يدور ويحدث في المجتمع من أحداث ووقائع أدى بصورة أو بأخرى إلى تعدد ألوان الهجاء في شعر دعبل[٥٦].

فاختلفت الموضوعات التي تناولها دعبل في هجائه فلم يقتصر فيها على موضوع معين أو محدد بل تعدت الموضوعات التي قال فيها الهجاء والسبب في ذلك هو تدهور أوضاع الحياة العامة في أغلب مجالاتها أو سبب الواقع السيء الذي كان يسود الحياة آنذاك[٥٧].

وسوف يكون حديثنا في هذا المبحث عن أهم الموضوعات التي قال دعبل فيها الهجاء ، وهذا ما تبين لنامن خلال المتابعة لديوان دعبل الخزاعي وقد ذكرنا هذه الموضوعات حسب كثرة ورودها في ديوان دعبل وعليه وقع اختيار التسلسل الذي نراه في هذا المبحثعلى ما يأتي :-

أولاً : الموضوعات السياسية :

وهي من أبرز الموضوعات واكثرها التي وردت في ديوان دعبل بن علي الخزاعي ذلك ان أغلب و الهجاء واكثره الذي قاله دعبل ينحصر تحت الحالة السياسية فلا يكاد يسلم من لسانه خليفة أو وزير أو قائد أو أمير... فيعد الهجاء السياسي السمة البارزة على شعرة.. ولعل ذلك يعود إلى اهتمام دعبل بالأحداث المحيطة به ومدى تأثره بمجرى الأحداث على الساحة السياسية أو بالأحرى يعود السبب إلى كثرة المنازعات وظهور المذاهب والتيارات الدينية والسياسية اذ نلاحظ دعبلاً يميل إلى مذهب عقيدي أفنى عمره من أجله ألا وهو (الامامية) فدافع دعبل عن مذهبه وهجا كل من يتعارض معه وخاصة الخلفاء واصحاب السلطة الحاكمة بحيث سعى دعبل إلى إثبات حق مذهبه في الخلافة وأظهر زلات العباسيين وعيوبهم ((ان شيعية دعبل ملأت عليه التفكير فكان كيفما يفكر ففيها يفكر وكل حدث له يتصل بها))[٥٨].

إن دعبلاً هو الشاعر الوحيد الذي أعلن تشيعه وعداوته وبغضه للعباسيين ((فمبدأ التقية أتاح للكثير من شعراء الامامية ان لا يجاهروا الناس فضلاً عن الخلفاء كلهم))[٥٩].

على العكس من دعبل الذي جاهر وبصورة علنية وواضحة ومعروفة لدى الجميع فلم يتخذ مبدأ التقية بل ((كان من شدة سلاطة لسانه على العباسيين وسائر الناس في عصره أن قضى معظم حياته هارباً يتربص به الأعداء ويسعون للإيقاع به)) [٦٠]٦٠

لقد كان دعبل رائد الهجاء من الناحية السياسية فبدافع عقيدته الشيعية المخلصة تعرض لهجاء الرشيد والمأمون ومن بعدهما من الخلفاء الذين عاصرهم وكان موقفه المعارض لهذه الدولة طوال مدة حياته منطلقاً من هذه العقيدة التي ملات عليه نفسه فكانت سبباً في شهرته وذيوع صيته بين الناس وبين الخلفاء والسلطة الحاكمة نفسها.

((لقد كان دعبل في هجائه السياسي يدافع عن عقيدته بشجاعة))[٦١].فهو شاعر صلب لم تؤثر فيه الشدة والمطاردة بل كانت تزيده قوة وتمسكاً بعقيدته.

أعلن دعبل مراراً نقمته على السلطة الحاكمة وثار على كل ما يشهده فيها من اختلال المقاييس والقيم فأخذ يبحث عن الوسيلة التي يراها مناسبة لكشف الأخطاء والعيوب في السلطة الحاكمة. ((فتشيعُ دعبل لأهل البيت (عليهم السلام) جعل منه هجَّاءاً وشاعراً قومياً ومحامياً حزبياً))[٦٢].

وعليه عدّ بعض الكتاب هجاء دعبل للخلفاء عملاً قبيحاً فوصفه البعض أنه (خبيث اللسان)و كان جسوراً على الخلفاء والوزراء متحاملاً عليهم وعدّوه عملاً غير مناسب وغير جميل ((فما وجه القبح في الهجاء إذا كان المهجوون يتصفون حقاً بما يُهجون به ؟ أمن القبح أن يرمي الجبان بجبنه ؟ أو ليسَ من الحق أن نذم المجتمع المتفسخ ؟ ثم أمن الباطل حين يثور الشاعر على سلطان جائر فيذمه لجوره ، إن هذا الضرب من الهجاء جميل في موضوعه وفكرته فالهجاء يؤدي وظيفة كاملة حين يصدر عن حس صادق))[٦٣].

فمن خلال الهجاء نستطيع ان نتوصل إلى كثير من الحقائق والمعلومات التي أغفلها التاريخ والناس فيما يتعلق بالمجتمع والسلطة الحاكمة.

فكما ذكرنا سابقاً أن دعبلاً عاصر خمسة من الخلفاء العباسيين هم (هارون الرشيد ، المأمون ، المعتصم ، الواثق ، المتوكل) وكل هؤلاء كانوا عرضة لهجاء دعبل الشديد الذي يخشاه أغلب الناس. فأول من هجاه دعبل من الخلفاء هو هارون الرشيد وذلك بعد وفاة الإمام الرضا عليه السلام.وقد وقع هجاء الرشيد بعد موته لأن الإمام الرضا (ع) توفي في زمن المأمون.. وقد أثارت هذه الحادثة ثائرة دعبل وكتب أبياتاً يرثي بها الإمام الرضا (عليه السلام) وفي نهاية هذه الأبيات تعرض للرشيد بشدة ، فقال :

قبران في طوس خيرُ الناس كلهم ... وقبر شرّهم هذا من العبرِ
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا ... على الزكيّ بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت ... له يداه ، فخذ ما شئت أو فذرِ[٦٤]

وقد هجا دعبل الخليفة العباسي المأمون الذي تولى الحكم بعد قتل أخيه الأمين وقد ذُكرت أبيات الهجاء في الفصل الأول من هذا البحث. أما الخليفة المعتصم[٦٥]فقد كان نصيبه كبيراً من هجاء دعبل..إذ يقول فيه:

بكى لشتات الدينمكتئب صبُّ ... وفاض بفرطِ الدمع من عينه غربُ
ولكن كما قالالذينتتابعوا ... من السلف الماضيين إذ عظم الخطبُ
ملوك بني العباس في الكتب سبعة ... ولم تأتنا عن ثامنلهم الكتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة ... كرامٌ إذا عدّوا وثامنهم كلبُ
وأني لأعلي كلبهم عنك رفعة ... لأنك ذو ذنب وليس له ذنبُ
كأنك إذ ملكتنا لشقائنا ... عجوزٌ عليه التاج والعقد والأتبُ[٦٦]

والأبيات السابقة من أعنف الأبيات التي هجا بها دعبل الخليفة المعتصم وقد طلبه بها طوال حياته فلم يستطع الظفر به.

وكذلك قام دعبل بإرسال عدّة أبيات إلى المعتصم يهجوه فيها ويهجو مدينة سرّ من رأى:

بغداد دار الملوك كانت ... حتى دهاها الذي دهاها
ما غاب عنها سرور ملك ... عاد إلى بلدةسواها
ليس سروريسرّ من را ... بل هيّ بؤسٌ لمنيراها
عجَّل ربي لها خراباً ... برغم أنف الذي ابتناها[٦٧]

هذا في حياة المعتصم أما بعد وفاته فيودعه دعبل بهجاء ليس فيه رحمة وكذلك بهذا الهجاء يستقبل الخليفة الجديد (الواثق) [٦٨] قائلاً:

قد قلت إذ غيبوهوانصرفوا ... في شرّ قبر لشرّمدفون
اذهب إلى النار والعذاب فما ... خلتك إلا من الشياطين
مازلت حتى عقدت بيعة مَن ... أضرّ بالمسلمينوالدين[٦٩]

وبعد قيام الواثق خليفة للمسلمين بعد اخيه المعتصم هجاهما قائلا :-

الحمد لله لا صبر ولا جلد ... ولا عزاءٌ إذا أهل البلا رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد ... وآخر قام لم يفرح به أحد
فمرّ هذا ومرّالشوميتبعه ... وقام هذا فقام الويل والنكد[٧٠]

أما المتوكل فقد هجاه دعبل بقوله :

ولست بقائلٍ قذعاً ولكن ... لأمرٍ ما تعبدكَ العبيدُ[٧١]

ثانياً : موضوعات السخرية والاستهزاء :

دعبل من أولئك الشعراء الذين أحتل اسمهم محلاً بارزاً في التاريخ ، نظم الشعر في مناسبات متعددة وكثيرة وتعرض إلى مواضيع شتى تناولها بأسلوبه الخاص وكان من ضمن هذا الأسلوب الذي يتميز به دعبل هو الهزء الذي يعتبر من دعائم الهجاء ، وقد استخدمهذا الأسلوب فحول الهجَّائين مثل بشار والحطيئة وابن الرومي.

وحين يهجو دعبل فإنه يعمد إلى روح السخرية المريرة التي تجعل من المهجو في وضع فكاهي مضحك..فإذا كان المهجو خليفة وصفه بقبح الأفعال والاعمال ، وإذا كان المهجو ين أشخاصاً وصفهم بدمامة الخلق وبشاعة المنظر وقبح الشكل مع الإسراف في العرض والمبالغة في الهياة.

لقد كانت في أسلوب دعبل نزعة ساخرة مثيرة تهدف إلى تمزيق المهجو وإضحاك الناس منه بقصد الانتقاص منه والإقلال من قيمته.وقد ورد عن جرير وهو من أبرز شعراء الهجاء الساخر وهو صاحب المقولة المشهورة ((إذا هجوت فأضحك))[٧٢]

((لقد أعتمد دعبل في هجائه السخرية الداخلية التي تتولد من اختلال الأحوال في النفس))[٧٣]. فهو يتولى العيوب البسيطة واليسيرة ويضيف إليها الكثير بواسطة الغلو والمبالغة حتى يجعلها تركيبة غريبة ويصورها تصويراً ظريفاً فخلف لنا دعبل نماذج بارعة في الدقة والتصوير والشكل بحيث يجعل المقابل يغرق في الضحك من المهجو نتيجة للسخرية والفكاهة المضحكة والهزل.

لقد استخف دعبل بإبراهيم بن المهدي (عم المأمون) وهو مغني وموسيقار وهو الذي يعرف (بابن شكلة) فقال فيه :

علـــمٌ وتحكـــيمٌ وشـــيبُ مفـــارقِ ... طلّســـنَ ريعانَالشـــباب الرائـــقِ
وإمـــارةٌ فـــي دولـــةٍ ميمونـــة ... كانـــت علـــى اللـــذات اشـــغبُ عـــائقِ
فـــالآن لا أغـــدو، ولســـتُ بـــرائح ... فـــي كبـــر معشـــوقٍ وذلـــةِ عاشـــقِ
نَعـــرَ ابـــنُ شـــكلةَ بـــالعراقِ واهلـــهِ ... فهفـــا إليـــهِ كـــلُّ أطلـــسَ مـــائقِ
إن كـــان إبـــراهيم مضـــطلعاًبها ... فلتصـــلحن مـــن بعـــدهِلمخارقِ
ولتصـــلحن مـــن بعـــدِ ذاك لزَلـــزَلٍ ... ولتصـــلحن مـــن بعـــدهِ للمـــارقِ
أنـــى يكـــون ولـــيس ذاكَ بكـــائنٍ ... يـــرثُ الخلافـــةَ فاســـقٌ عـــن فاســـقِ[٧٤]

وقصة هذه الأبيات أن العباسيين في بغداد بايعوا إبراهيم بن المهدي بعد ان غضبوا على المأمون الذي عقد البيعة للإمام علي الرضا (عليه السلام) وكان المأمون وقتها في خراسان. فقال دعبل هذه الأبيات مستخفاً بالخلافة ساخراً منها إذا تولاها إبراهيم هذا. أهناك هزءٌ أشد من ذلك ؟ أرجلٌ فاسق ومغني يتولى أمور المسلمين.. حيث يرى دعبل أن الخلافة إذا صلحت لابن شكلة فلتصلح من بعده لأخدانه وأقرانه من المطربين والمغنين الآخرين مثل (مخارق و زلزل).

إلى جانب صورة أخرى رسمها دعبل لهذا الخليفة المغني ، وهذه الأبيات الأخرى جاءت بعد أن خسر الخليفة الموسيقار وأصيبت خزينته بالعجز المالي فطلب الجيش منه عطاءه فخرج إليهم رسول

الخليفة قائلاً : أنه لا مال لدى الخليفة ... ! فطلب الجيش بدل المال أن يخرج الخليفة فيغني لهم أغاني تطرب الجيش(٧٥).

فقال دعبل في ذلك :

يـــا معشـــرَ الأجنـــادِلا تقنطـــوا ... وأرضـــوا بمـــا كـــانَ ولا تســـخطوا
فســـوفَ تعطـــونَ (حنينيـــةً) ... يلتـــذُها الأمـــرُد والأشـــمطُ
و (المعبـــديات) لِقـــوادكمْ ... لا تـــدخلُ الكـــيس ولا تـــربطُ
وهكـــذا يـــرَزقُ أصـــحابه ... خليفـــةُ مصـــحفه (البُـــربطُ)(٧٦)

هذه هي الصورة التي صورها دعبل أجمل تصوير وعبر بهذه السخرية أروع تعبير ومن ذلك قول دعبل يهجو المطلب بن عبد الله والي مصر بعد هزيمته في إحدى المعارك فيقول:

تعلـــقُ مصـــرُ بـــكَ المخزيـــات ... وتبصـــقُ فـــي وجهكَالموصـــلُ
ويـــومَ الســـراةِ تحسِّـــيتَها ... يُطيـــبُ لـــدى مثلهـــا الحنظـــلِ
توليـــتَ ركضـــاً وفتيانُنـــا ... صـــدورُ القنـــا فـــيهمُ تعســـلُ(٧٧)

وقد هجا دعبل بعض الصفات المذمومة بصورة مضحكة ومنها البخل والبخلاء حيث يقول في هجاء أحد البخلاء :

إنّ هـــذا الفتـــى يصـــون رغيفـــاً ... مـــا إليـــه لنـــاظرٍ مـــن ســـبيل
هـــو فـــي ســـفرتين مـــن آدم الطـــا ... ئـــف ، فـــي ســـلتين فـــي منـــديل
خُتمـــت كـــلّ ســـلةٍ بحديـــد ... وســـيور قُـــددن مـــن جلـــد فيـــل
فـــي جـــراب فـــي جـــوف تـــابوت موســـى ... والمفـــاتيح عنـــد اســـرافيل(٧٨)

فدعبل هنا يذم بخيلاً ويبالغ في وصفه ووصف حرصه على خبزه وكيف إنه يصونه عن الآخرين في مكان بعيد لا يستطيع أي شخص أن يراه فرغيفه محفوظ في مكان بعيد وقد وضعت عليه أقفال والمفاتيح عند الملك ميكائيل (ع)..وقد أسرف دعبل إسرافاً كبيراً في المبالغة في هذه الأبيات.

وبعد..فالذي تقدم يعني أن دعبلاً قد صوّر المظاهر السلبية التي كان يراها بأسلوب ساخر..وقد تطور عنده هذا الأسلوب الهجائي الساخر إلى درجة كبيرة حتى أصبح يوفق في عرض الصورة التي يحاول أن يذكرها في شعره ، وهناك كثير من المقطوعات الشعرية التي رسمها دعبل بريشته بصورة كاريكاتورية.. نكتفي بهذا القدر ويمكن مراجعة الديوان والتعرف على الكثير من هذه المقطوعات الشعرية*.

إن السخرية في شعر دعبل ((طريقة تعبيرية متطورة توسل بها لنقد الأوضاع السياسية والاجتماعية والسير الفردية والنيل منها بأسلوب يترفع عن الشتيمة والسّباب المحض ويتنزّه عن القذف

والأيغال في الفحش ورفث القول))[٧٩]فسخرية دعبل لم تكن جديدة الظهور في الشعر العربي ، بل استخدمه قبله شعراء كثيرون منهم جرير والأخطل والفرزدق في النقائض التي دارت بينهم.

لقد اعتمد دعبل على السخرية ذات الصورة المضحكة والتي تقوم بالأساس على التصوير الدقيق من أجل إعطاء صورة مضحكة للشخص المهجو ، فالسخرية التصويرية (الكاريكاتير) : ((نوع من النقد يعتمد في جملته على التماس العيب أو النقص ويبرز وجه التناقض على شكل نكتة ترد في ذهن الفنان))[٨٠].

وبعد فالذي تقدم يعطي لنا صورة واضحة في أن دعبل قد تفنن في عرض أهاجيه مستخدماً السبل كافة ، منها الهزء والسخرية والاستهزاء وكأن عملية الهجاء لديه مداعبة وضحك – وكما يقولون – ((أن أشد الهجاء ما أصاب الغرض ووقع على النكتة))[٨١].

ثالثاً : موضوعات اجتماعية :

إن ((أكثر أنواع الهجاء تعقيداً وأعمقها تجربة إنسانية هو ذلك الهجاء الذي يعلن نقمة الفرد على المجموع وثورته على ما يشهد فيه من اختلال المقاييس والقيم ، وقد شاع ذلك في العصر العباسي حيث بلغت الحضارة أوجها ... وانخذل الإنسان حتى تساوت الرذيلة في أحيان كثيرة بالنسبة إليه مع الفضيلة)[٨٢]واشتهر دعبل بكثرة الموضوعات التي طرقها في هجائه وهو في ذلك يلفت النظر إلى جوانب شتى كانت سائدة في مجتمعه وعصره ، فكان لدعبل قدرة بارعة على تصوير المشاهد والمواقف التي تحدث معه ولم يترك جانباً من جوانب الحياة حتى العابرة إلا ورسمها رسماً دقيقاً واضحاً فجاءت موضوعات أشعاره وهجائه متنوعة وكثيرة.فقد كان دعبل يرى ان المجتمع انتشر فيه الكذب وعمّ الرياء وفسد الزمان وراجت سوق الدجل والنفاق والخيانة ونشأ الحسد والخبث والخديعة ولذائذ البهائم وضاعت الأعراض وفسدت الأخلاق[٨٣]ولم ير ان هناك إصلاحاً لهذه الأوضاع الا عن طريق التعرض لها وهجاء أصحابها. فالهجاء الاجتماعي يمكن أن نعده هجاءاً إيجابياً لأنه يوضح لنا حقيقة تجارب الشعراء في ذلك العصر فهوالذي يبين لنا حقد الفرد على المجموع[٨٤]، وهجاء دعبل الاجتماعي هو عبارة عن نقمة الشاعر على المجتمع الذي يحيط به ويجعله لا يرى إلا شراً وظلماً وفساداً في الأخلاق.ويقصد بالموضوعات الاجتماعية ؛ الأحداث التي كانت تحدث في المجتمع وكانت تدفع شاعرنا الخزاعي إلى أن يهجو هذه الأحداث أو المواقف أو يهجو أصحابها ... إلى جانب ذلك ما كان بينه وبين الآخرين من منازعات شخصية وخصومات قد جرى عليها الهجاء.وهذا اللون من الهجاء نجده عند دعبل إلى درجة من التحليل والعمق ففي أبياته التي تتناول الموضوعات الاجتماعية ليس هدفه التخفيف مما هو فيه من ضيق جوانح نفسه فحسب.. وإنما قصد إلى التنبيه والإيقاظ بأسلوب البحث الاجتماعي القائم على أساس المقارنة والموازنة لبيان ما في الحياة من مفارقات وانحراف[٨٥].ففي هذا المجتمع الهائج القلق كان دعبل قد قال أهاجيه وسخر من الناس الذين عاصروه ، فعاش ساخطاً ناقماً حاقداً على تصرفاتهم وافعالهم.

من الموضوعات التي تطرق إليها دعبل في هجائه هو الجوار فقال هاجياً :-

أرى منـــــا قريبـــــاً بيـــــت زورٍ وزور لا يـــــــــزور ولا يـــــــــزارُ
ولا يُهـــــــــدي ولا يُهدىإليـــــــــهِ ولـــيس كـــذاك فـــي العـــرب الجـــوار[٨٦]

فهو يتناول هذا الجار بالذم من خلال نظرة دقيقة.. وهو غير مخطئ في ذم ذلك الجار الذي لا يزور ولا يزار لأن هذه العادات ليست من عادات العرب وليس من أخلاقهم.

وقد تعرض دعبل لهجاء أحد البخلاء فقال فيه :

أتقفـــــلُ مطبخـــــاً لا شـــــيءفيهِ مـــن الـــدنيا يخـــاف عليـــه أكـــل؟
فهـــذا المطـــبخ اســـتوثقت منـــهُ فمـــا بـــال الكنيـــف عليـــه قفـــل
ولكـــــن قـــــد بخلتَبكلِّشـــــيءٍ فحتـــى ... منـــك عليـــه بخـــل[٨٧]

لقد كان البخل وما يزال صفة ذميمة وعادة كريهة ويبدو أن دعبلاً عمل ما استطاعه لمحاربة هذه الصفة بشعرة للحد من سريانها في مجتمعه. وفي جانب آخر يعطي لنا دعبل صورة حية عن أحد أصدقائه الذي بعث إليه بأضحية مهزولة فاستقبح دعبل الهدية وكتب له :

بعثـــــــتَ إليَّبأضـــــــحيةٍ وكنـــــت حريّـــــاً بـــــأن تفعـــــلا
ولكنهـــــــا خرجتْغثـــــــةً كأنـــــك ارعيتهـــــا حـــــرملا
فـــــأن قبـــــل الله قربانهـــــا فســـبحان ربـــك مـــا أعـــدلا[٨٨]

إن دعبلاً رأى أن أضحية صديقه غير مناسبة وأنها ضعيفة ونحيلة فغضب عليه وقلل من عطيته فكانت هذه العطية غير الجيدة مدعاة إلى ذم صديقه وهجائه.

نزل دعبل ضيفاً على قومٍ فلم يعطوه حتى غلبه النوم فناموا ثم انتبه قبلهم من النوم ووضع بيتين من الشعر كتبها على الحائط وانصرف وهما :

هنـــــاكم أنكـــــم قـــــومٌكرام وأنَّ النـــــومَ بيـــــنكم طعـــــامُ
أتـــــاكم زائـــــرٌ فـــــاجعتموهُ فلمـــــا نـــــامَ أشـــــبعهُ المنـــــامُ[٨٩]

وواضح من هذا الأنموذج ان عدم الكرم هو الذي أدى وحده دوراً كبيراً في دفع دعبل وتحريكه في ذم هؤلاء القوم الذين لم يطعموه ولم يكرموه بوصفه ضيفاً نزل عندهم. وضمن معنى البخل بهجو دعبل عمران فيقول فيه:-

أتيـــت ابـــن عمـــران فيحاجـــةٍ هوينـــــــة الخطبفالتاثهـــــــا
تظـــل جيـــادي علـــى بابـــهِ تـــــروثُ وتأكـــــلُ أرواثهـــــا
غـــــوارثٌ تشـــــكو إليّـــــالخلا أطـــالَ ابـــن عمـــران أغراثهـــا[٩٠]

سمع دعبل يوماً مغنياً يغني فلم ينل إعجاب دعبل فهجاه قائلاً :

ومغـــــــنٍ ان تغنـــــــى أورثَ النـــــــدمانهمّاَ
أحســـــــنُ الأقوامُحـــــــالاً فيـــــهِ مـــــن كانَأصـــــمّا[٩١]

ودعبل لم يترك شيئاً في الحياة إلا رماه بسهم النقد حتى المغنيين لم يسلموا منه وليس من المعقول أن تسلم منه فئة المغنيين والمجتمع كله – وهم جزء منه – كان مرمىً وهدفاً لهجاء دعبل وهدفه ومنه قوله في هجاء جارة مغنية تدعى برهان ، فيقول فيها :

برهـــــانُ لا تطـــــربُ جُلاّســـــها حتـــــى تريـــــك الصـــــدرَ مكشـــــوفا
شـــــبهُتها لمـــــا تغنّـــــت لهـــــمْ بنعجـــــةٍ قـــــدْ مضـــــغَتْ صـــــوفا[٩٢]

فهذه الجارية المغنية قد وقعت في شباك دعبل وهجائه.. فوصفهابأنها مثل النعجة التي تمضغ الصوف فهي رديئة ولا تطرب الجالسين إلا إذا كشفت عن صدرها.لقد انصبّ هجاء دعبل للمغنيين والفتيان على أصواتهم غير الجيدة التي لا تطرب المستمعين وتزري بأهل هذه الحرفة..

وهذا اللون من الهجاء أي هجاء المعنيين يمثل تطوراً للهجاء العربي بفعل تأثره بالحياة الاجتماعية المتطورة والجديدة

وغيرها من المواقف الاجتماعية الكثيرة التي أثرت في دعبل وقال فيها الهجاء ، ومما تقدم يتضح لنا أن دعبل بن علي الخزاعي قد أعطى وقدم لنا من ملاحظة مقطوعاته الشعرية الهجائية نبذة مختصرة عن المجتمع الذي كان يعيش فيه موضحاً لكل ما كان يحصل ويحدث هناك ((فكانت إشارة منه إلى توجيه الناس بشكل مباشر أو غير مباشر إلى طريق البناء الاجتماعي السليم المتميز بكل ما يناقض المظاهر المهجوّة))[٩٣]

فكانت الصور التي أعطانا إياها دعبل هي من أكبر الأدلة على جرأته وصرامته وثورته وصراحته فكان شاعراً يحاول جهد إمكانه تحقيق آماله ، فجاء شعره مليء بالإشارات والحوادث التاريخية التي لم يتطرق إليها الشعراء الذين عاصروه ... ممن برع في أساليب الرياء والملق وصياغة الكذب والصناعة الشعرية المقيتةغير الصادقة.

رابعاً : موضوعات الهجاء الفاحش والمقذع :

كان العرب في الجاهلية ولا يزالون يتمتعون بأخلاق اجتماعية حافظوا عليها وتمسكوا بها وكانت لهم مثل عليا مدحوا من أخذ بها وذموا من حاد عنها وقد عرفوا الشجاعة والكرم والجود والشرف والحفاظ على العرض وهي من الصفات المتوارثة المقدسة عند العرب[٩٤]، فراح الشعراء يهجون كل من يدخلون معه في خصام بأشد أنواع الهجاء ويصفونه بأبشع الأوصاف وأشنعها وينعتونه بأقبح الصفات المذمومة عند العرب.

وفي هذا المجال يبحث الشعراء الهجّاؤون عن موضوعات مختلفة مثل الجبن والبخل.. وفي الهجاء الفاحش والمقذع يبحثون عن الوقيعة في الأعراض والأنساب والشتم والطعن في الشرف والعفة وطهارة المولد.. وهي من أشد أنواع الهجاء التي يوصف بها الشخص المهجو ((ولأمر ما يكن العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء))[٩٥] وذلك بسبب طبيعة الحياة العربية التي تقوم على مقومات أخلاقية

كالكرم والصفح وحسن الجار والسمعة الطيبة والحسنة فكان العربي يحرص على سمعته وسمعة قبيلته التي هي عنوان عزته في حياته.

فهو يسعى إلى تجنب كل تشهير أو مذمة ويدفع ذلك عن نفسه ليعيش عزيز المكانة ، نقي العرض ، طيب السمعة ، فكان يخشى كل من يحاول الطعن في شرفة ونقاء سريرته.

وواضح أن دعبل بن علي الخزاعي قد تناول في هجائه كل ما يزري بالمرء ويحط من قيمته ومكانته بين الناس ، وأخذ دعبل معانيه وألفاظه مما تعارف عليه الناس في المجتمع من الرذائل والعيوب الأخلاقية فكسا بها خصومة وسعى إلى تجريدهم من كل الفضائل التي يعتزون بها ، فأخذ يطعن في شرف خصومة وأعراضهم في أنسابهم ويشك في طهارة مولدهم ولعل ((أقسى ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب بعضها مع بعض ، فأما كان في الخلقة الجسمية من المعايب فالهجاء به دون ذلك))[٩٦]

وتفنن دعبل في طرق عرضه للهجاء الفاحش وكيفية صياغة الأسلوب الذي ينال فيه من المهجوين إلى جانب استعمالهالإفحاش في القول من أجل سرعة إيلام المهجو وسرعة انتشار الهجاء.

يقول دعبل في هجاء أحمد بن أبي دؤاد :

إن هـــذا الـــذي داود أبـــوهُ ... وايـــادٌ ، قـــد أكثـــرَ الانبـــاءَ
ســـاحقتْ أمـــهُ ولاطَ أبـــوه ... ليـــتَ شـــعري عنـــه فمـــنْ أيـــنَ جـــاءَ؟
جـــاءَ منصـــخرتين صلوديـــ ... ن عقامينيُنبتـــان الهبـــاءَ
لا ســـفاح ولا نكـــاح ولا مـــا ... يُوجـــبُ الأمهـــات والآبـــاءَ[٩٧]

وكثير ما يستخدم دعبل العبارات الفاحشة والصريحة والنابية في هجائه لخصومه فهو يقول ((فإذا رآك قد أوجعت عرض غيره وفضحته اتقاك على نفسه ، وخاف من مثل ما جرى على الآخر))[٩٨].

فكان أسلوب دعبل هو طعن الأعراض وفضح السرائر وكشف الحقائق فهو يرى أن هذا الأسلوب هو الوسيلة المناسبة والوحيدة من أجل ردع الآخرين ليكفوا عنه أعمالهم وأفعالهم.

وقد هجا دعبل بني وهب ووصفهم بأبشع الصفات عندما نسب إليهم الفحشاء إلى صغارهم وكبارهم على حد سواء حيث قال فيهم :-

إذا رأيـــتَ بنـــي وهـــب بمنزلـــةٍ ... لـــم تـــدر أيُّهـــمُ الأنثـــى مـــن الـــذكرِ
قمـــيصُ أنثـــاهم ينقـــدُّ منقُبُـــلٍ ... وقمـــصُ ذكـــرانهم تنقـــدُّ مـــن دُبُـــرِ
محنكـــونَ عـــن الفحشـــاءِ فـــي صـــغرٍ ... محنكـــونَ عـــن الفحشـــاءِ فـــي كبـــرِ
محنكـــون ولـــم تُقطـــع تمـــائمهم ... مـــع الفـــواطم والـــداياتِ بـــالكبرِ[٩٩]

نستنتج من هذا المبحث أن هجاء دعبل متسع في اتجاهاته متنوع في موضوعاته لم يقتصر على نمط محدد وواحد بل تعددت أنماطه وموضوعاته فكانت منها السياسية والاجتماعية ... الخ ، إذ عبّر من خلال هذه الموضوعات عن تفاعل عواطفه مع كل ما يمر عليه من أحداث ووقائع على صعيد المجتمع

أو على مستوى الأفراد ، فكان هجاؤه هو المنطلق الذي ينطلق من خلاله إلى الأكمل والأمثل في الحياة ، فيهدف إلى إصلاح المجتمع والسير به إلى مراتب أعلى بعكس الهجاء الذي يكون للدعابة وتضييع الوقت ، ((ربما يكون النقد أقل هدفاً إذا كان في مجال اللهو واللغو مثل هجاء جرير للفرزدق وهجاء الحطيئة لنفسه))[١٠٠].

المبحث الثالث

الظواهر الفنية في هجاء دعبل بن علي الخزاعي

كان الحديث في المبحث الأول عن دوافع الهجاء في شعر دعبل الخزاعي ، والمبحث الثاني تحدث لنا عن موضوعا الهجاء في شعره ، فاصبح من الواجب ان نتبع هذين المبحثينبمبحث ثالث يتناول الظواهر الفنية في هجاء دعبل بن علي الخزاعي لتكتمل لدنيا صورته ... فكان علينا أن نبين في الحديث عن هذه الجوانب ما يتصل بالوزن والقافية واللغة والأسلوب أو ما كان عليه هجاء دعبل من مميزات حددته شكلاً ومضموناً وإطاراً وصورةً من خلال تفاعل هذا الغرض الشعري مع الحياة العامة ومدى طبيعة تأثيره وتأثره فيها.

الوزن :

((يتألف الشعر من كلمات تنتظم فيما بينها انتظاماً مخصوصاً تبعاً لتعاقب الحركة والسكون مما يضع للشعر وزنه المتميز وإيقاعه الخاص ، وهذا الانتظام يعتمد علي كيفية فريدة في تناسب أصوات الكلمات وتوافق حروفها توافقاً زمنياً يشكل صورة الزمن العروضي الذي يتقدم به الشعر ويعد من جملة جوهرة))[١٠١]. يبدو ان أبن رشيق القيرواني كان صائباً عندما قال : ((الوزن أعظم أركان الشعر وأولاها خصوصية))[١٠٢]لذلك فان الوزن هو عبارة عن تناسب وتنسيق صوتي متلائم في البيت الشعري الواحد.

أن الأوزان الشعرية كثيرة ومتنوعة تختلف من لحنٍ إلى لحن ومن إيقاع إلى آخر وكذلك تختلف من ناحية الطول والقصر والقوة والخفة.. وان الشعراء ، قد تناولوا مختلف البحور الشعرية في أغراضهم كافة فلم يكن بإمكاننا أن نقول ان بحراً أو وزناً معيناً يصلح لغرض من الأغراض الشعرية ولا يصلح للغرض الآخر ولكن ((هناك علاقة صلة ما بين الوزن والعاطفة لدى الشاعر ، كما ان هناك علاقة وثيقة بين اللحن الموسيقي والجو النفسي))[١٠٣]، أي انه لم يكن هناك بحور معينة أو بحر معين خاص لغرض معين بل إن كل البحور الشعرية يمكن ان يتناولها الشاعر في شعره وليس بصورة محددة وثابتة وإنما تكون كل البحور الشعرية متاحة للشاعر فعلى أي وزن شاء له أن يقول ويكتب ... ولم يتخذ الشعراء القدامى لكل موضوع شعري بحراً خاص به من بين بحور الشعر العربي المختلفة.

لكن من المعلوم ان الوزن له علاقة بالأجواء النفسية التي تنبع منها قصيدة الشاعر وكلماته وحروفه ((فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الشعرية الفخمة والرصينة وإذا قصد في موضع غرضاً هزلياً أو قصد تحقير شيء أو العبث به أدى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء))[١٠٤] فإذا كانت مقاصد الأغراض الشعرية مختلفة بين الجد والرصانة والفخر والذل والبهاء والاحتقار وجب أن تساق تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان الملائمة لتلك الأغراض الشعرية.

لقد تناول دعبل بن علي الخزاعي في هجائه أغلب الأوزان والبحور الشعرية وخاصة انه نوّع في أوزان هجائه وتكاد تكون أوزان الطويل والبسيط والكامل والوافر والمتقارب والسريع والخفيف طاغية الاستعمال في هجائه أي ان هذه البحور كانت أوسع من غيرها دوراناً في شعره، ولكن ذلك لا يعني انه

وقف عند هذه البحور فقط فالواقع يؤكد انه قال كما يبدو أنها قليلة الاستعمال في الأغراض المضارع والمقتضب والمتدارك ، وهذه الأوزان يبدوا أنها قليلة الاستعمال في الأغراض الشعرية الأخرى.وأنها قليلة الاستعمال من قبل أشهر شعراء الهجاء الذين عاشوا في القرن الثالث الهجري[١٠٥].

ويبدو أن رغبة شاعرنا الخزاعي في التشهير بمهجويه والتنكيل بهم وتسهيل حفظ أهاجيهم والعمل على سرعة انتشارها بين الناس دفعته إلى استخدام الأوزان القصيرة والمجزوءة في بعض الأحيان.

ومرّ بنا ان دعبلاً دارت بينه وبين أبي سعد المخزومي مهاجاة شريرة فنظم دعبل أبياتاً رائية على وزن مجزوء الخفيف وهو وزن قصير الأنغام سهل الحفظ والانتشار ((وهو بحر جميل وقد وصف بأنه ذو رنة ناعمة))[١٠٦] ، فكان المخزومي كلما مرّ بموضع ردّد من يعرفه أبيات دعبل لسهولتها ، ومن هذه الأبيات قوله :

يـــــا أبـــــا سعدٍقوصـــــرة زانـــــــيَ الأختِـــــــوالمرة[١٠٧]

((ويبدو انه لجأ إلى البحور القصيرة ليشيع في الناس الخفة وكثُر ذلك في شعره))[١٠٨]

فهذه السخرية المريرة والمضحكة دفعت الشاعر إلى أن يختار ما يناسبها من وزن وإيقاع خفيف فكان الرجز وهو القيثارة التي عزف عليها دعبل هجاءه.ومنها قوله على وزن مجزوء الكامل في هجاء ابي المقاتل :

اســـــتبق ود ابـــــي المقـــــا تـــل حـــين تأكـــل مـــن طعامـــه
المـــــوت ايســـــر عنـــــده مـــن مضـــغ ضـــيف والتقامـــه
وتـــــراه مـــــن خـــــوف النزيـــــ ل بـــــه، يـــــروع فـــــي منامـــــه
لا تكســـــــــرن رغيفـــــــــه ان كنـــــت ترغـــــب فـــــي كلامـــــه
واذا مـــــــــررت ببابـــــــــه فـــــاحفظ رغيفـــــك مـــــن غلامـــــه[١٠٩]

وكان لمخلع البسيط نصيب في هجاء دعبل ، وعليه قول دعبل في هجاء آل بسام :

يـــــا آلَ بســـــامِ فيالمخـــــازي وعابســـــــــي الوجهفيالســـــــــؤالِ
حواجـــــــبٌ كالجبـــــال ســـــودٌ إلـــــى عثـــــانين كالمخـــــالي
وأوجـــــــهٌ جهمـــــــةٌ غِـــــلاظٌ عطـــــلٌ مـــــن الحســـــنِ والجمـــــالِ[١١٠]

وعلى هذا الأساس أخذ دعبل يميل إلى استعمال البحور الشعرية القصيرة ، نستنتج من خلال ذلك ، ان دعبلاً قد أكثر من قول الهجاء على البحور الشعرية كافة ما عدا المضارع والمقتضب والمتدارك والمديد.وانه في هجائه اللاذع أكثر ما يستعملمجزوءات الأوزان وكذلك الأوزان الخفيفة والسريعة الحفظ من أجل سرعة انتشار الهجاء بين الناس ، وهكذا كان دعبل يسوق إلى خصومة المذمة والعيوب بكلمات نظمت على أوزان يسيرة وخفيفة ومألوفة من أجل أن يأخذ الهجاء مأخذه بأسلوب الطعن النافذ الهادئ الأمر الذي أضفى على هجائه قوة وتأثير شديدين وتمكن دعبل الخزاعي من اتخاذ هذا المنهج

في نظام الوزن والقافية معاً ، ((فهجاؤه يومض من خلال حدس متفوق قاتم تنقضي فيه بقايا المعاني الهجائية القديمة وتنبري لها معانٍ جديدة)) [١١١]

القافية :

ويقصد بالقافية كما عرفها الأخفش أنها آخر كلمة في البيت ، وعرفها الخليل بن أحمد الفراهيدي أنها من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه . رجوعاً . مع الحركة التي قبل الساكن ، وهي ((نهاية النغم العروضي وختام الإيقاع الصوتي : فهي آخر ما يستقر في الآذان ويضرب في الأسماع))[١١٢]((وسميت القافية لأنها تقفو أثر كل بيت وقال قوم : لأنها تقفو أخوتها))[١١٣] ، أما عيوب القافية فيه كثيرة منها الإقواء ، الأكفاء ، الإيطاء ... الخ.ففي هجاء دعبل للخلفاء والأمراء والوزراء والكتاب والحجاب والقادة يجعل اختيار الباء والراء والدال قوافي للأهاجي احتمالاً قوياً.. وقد مرت بنا مثل هذه الاهاجي في هجاء رجال الدولة ، وربما كان دعبل يتعمد اختيار هذه القوافي لا غيرها في كثير من أهاجيه لمناسبتها لموضوعها والمضمون الذي يحتويه ، وكذلك لدعبل في هجاء مالك بن طوق :

صدّقهُ أن قالَ وهوَ محتفلٌ ... انّي من (تغلبِ) فماكذبا
من ذا يناويهفيمناسبه ... فما استَ كلبٍ يرضى بذا نسبا[١١٤]

وقال دعبل يهجو ابا عباد الكاتب وهو كاتب المؤمن وكان معروفاً بحدته وسرعته

أولى الأمور بضيعةٍ وفسادِ ... أمرٌ يدبره أبو عبادِ
خرقٌ على جلسائهِ ، فكأنهم ... حضروا بملحمة ويوم جلادِ
يسطو على كتابه بدواته ... فمضمخٌ بدمٍ ونضح مدادِ
فاشدد أمير المؤمنين وثاقه ... فأصح منه بقية الحدادِ[١١٥]

وقال يهجو مالك بن طوق

إنّ بني طوق لأعجوبةٌ ... تحار في وصفهم الفكرهْ
أبوهم أسمرُ في لونهِ ... والقوم في ألوانهم شقرهْ
أظنهُ . حين أتى أمَّهُم . ... صيرَّ في نطفته مغرهْ[١١٦]

لغة الهجاء :

((لقد أثرت الثقافات الدخيلة في لغة العرب وآدابهم تأثيراً مهماً إذ نقلت معارف هذه الأمم وأفكارها وفلسفتها وآدابها إلى العربية واستفاد منها أهل ذلك العصر في معايشهم وتصوراتهم وحياتهم اليومية فكان لابد أن يظهر أثرها فيما يكتب الكتاب وينظم الشعراء من قصائد في مختلف الأغراض الشعرية. فالفارسية على سبيل المثال أثرت في اللغة العربية بألفاظها ومعانيها وأفكارها وقد اقتبست العربية منها جملة من الألفاظ في العلوم والصناعات ومن ألفاظ الأطعمة والأشربة وكذلك أسماء النباتات والأزهار وغيرها.

فكان التطور الذي حدث في العصر العباسي قد أثر في الشعر بصورة كبيرة وواسعة سواء من ناحية موضوعاته أو من ناحية أفكاره ولغته وصياغته أو من خلال أساليبه الشكلية الأخرى ((وكان هذا التطور أمراً طبيعياً أفضته حياة العصر الجديد،نظراً للتغير الذي شمل أحوال هذه الحياة العامة السياسية والاجتماعية والعقلية))[١١٧]وعليه لابد أن يتطور الشعر لأنه نابع من فكر الإنسان ومرآة ينعكس عليها كل ما يحدث ويدور في خواطر الآخرين ونفوسهم فلابد أن يتطور بتطور هذا الفكر وتظهر عليه آثار البيئة الجديدة.

((وهناك حقيقة أصلية ثابتة تتصل باللغة الشعرية ، فكل غرض شعري يتميز عن غيره بلغته وأسلوب تعبيره ومفرداته ومصطلحاته ، فليس من شك في أن لغة الغزل السهلة العذبة غير لغة الفخر القائمة على فخامة العبارة وضخامتها وجزالة اللفظة وقوتها))[١١٨].

وإن الهجاء بوصفه غرضاً شعرياً لابد له أن يكون في إطار اللغة السهلة المتميزة بوضوح المفردات وسهولة المعاني وكانت هذه اللغة البسيطة الأداة العامة التي استخدمها دعبل في معظم شعره أن لم نقل كله.

ودعبل بوصفه واحداً من الشعراء الهجّائين يهمه دائماً أن يشيع هجاؤه وينتقل بين الناس وعلى كل لسان وفم لكي يحقق الغاية التي يصبو إليها ويهدف إلى الوصول إليها من قوله ...وهذا الانتشار لا يمكن للشعراء الذين يكثرون من قول دعبل واحد منهم إلا عن طريق استعمال أيسر التعبير وأوضح المعاني والكلمات البسيطة غير المعقدة.. فالهجاء لا يُنظم لطبقة العلماء والمثقفين فيبحث الشاعر عن المعنى العميق واللفظ الدقيق.

إن الذي سبق قوله لا يعني أن كل هجاء دعبل جاء على تلك الشاكلة اللغوية البسيطة والواضحة ، إذْ نجد إلى جانب هذا الأسلوب البسيط نماذج من الهجاء الذي يتميز بفخامة العبارة وربما توجد فيه بعض الألفاظ الصعبة والغامضة ، لهذا أخذ هذا الأسلوب ((اتجاهين رئيسين اتجاه يحاول المزج بين لغة البدو والحوشية ولغة الحاضرة السهلة..والاتجاه الثاني يميل إلى السهولة واللين الذي قد يصل في معظم الأحيان إلى العامية والابتذال))[١١٩].

فأخذ دعبل بصورة عامة الميل إلى الأسلوب الواقعي ومن هنا ظهر اتجاه شعبي أو ميل إلى الحياة العامة ((فقد كان لابد للهجاء أن يجاري أذواق الناس ومستوياتهم الثقافية والعقلية وان يكون قريباً من افهامهم سريع العلوق بنفوسهم))[١٢٠]فشعبية التعبير وسهولته كانت من أبرز ما ميز لغة الهجاء عند دعبل وأسلوبه وألفاظه ولذلك كان جزع أبي سعد المخزومي عظيماً حين هجاه دعبل بن علي الخزاعي بقوله :

يـــــا أبـــــا ســـــعدٍ قوصـــــرة زانـــــــي الأخـــــــتِ والمـــــــره

...

أججالعبـــــــــــــــــــــــــــدُنارهُ وهـــــــو للنـــــــارِ كســـــــندره

أبـــــــــــــدَ الدهرِخلقـــــــــــــــه فـــــــارس فـــــــي المـــــــؤخره[١٢١]

((فلم يجد دعبل بداً من أن يلجأ في هجائه إلى أسلوب يسكت فيه أبا سعد ، وقد كان أن يغلبه فبدأ يهجوه بشعر شديد الفحش سهل قصير البحور بروي في غير كلفة ليردده الناس ويحفظوه))[١٢٢] ، ومنها قول دعبل في أبي سعد :

انّ أبـــــا ســـــعدٍ علـــــى مجونـــــهِ
ورقـــــةٍ فـــــي عقلـــــه ودينـــــهِ
يبتـــــرك الـــــدهر علىجبينـــــه[١٢٣]

فحفظ الناس هذا الشعر حتى قال عنه أبو سعد نفسه ((فوالله لقد رواه صبيان الكتّاب ومارّة الطريق والسفّل ، فما أجتار موضوعٍ الا سمعته من سفلة يهذون به فمنهم من يعرفني فيعيبني به ومنهم من لا يعرفني فاسمعه منهم لسهولته على لسانه))[١٢٤]

لقد اقترب دعبل في أهاجيه إلى اللغة الشعبية ليكون قريباً من الناس الذين يريدون أن يحفظوا هذه الأهاجي ويرددوها لينال من خصمه ومهجويه ومن أجل أن يكون لشعره الأثر النفسي الموجع ، ولذلك أعتمد على اللفظ السهل والوزن القصير واللغة الواضحة لتكتمل في هجائه أدواته التعبيرية المناسبة.

الأسلوب :

((ان أسلوب الشعر في العصر العباسي اتسم بصورة عامة بالوضوح والسهولة فكان من الطبيعي جداً أن يلتمس أسلوب الهجاء بهذا الوضوح وهذه السهولة ((فقد بلغت السهولة في هذا العصر حد الابتذال والعامية وأحياناً إلى جانب جنوح بعض الهجائين إلى القول الجزل والعبارة الرصينة))[١٢٥].

وهكذا الحال في هجاء دعبل الخزاعي فقد تابع هجاء الآخرين بواسطة أساليب القذف والشتم ومال دعبل إلى هذا اللون الهجائي كثيراً فنراه يحشد فيه الصور المقيتة والذميمة يرمي بها مهجويه ، وقد كان لهجاء دعبل هذا سبب في اقتراب أسلوبه ولغته من اللغة اليومية والأسلوب المتبادل بين الناس وهذا اللون يكون عادة شعبي النزعة والأسلوب واضح اللغة يتميز محاولة جمع أكبر عدد من الصور غير اللائقة والقبيحة مع ملاحظة تكرارها عند أكثر الشعراء لأنها ملك الناس جميعاً وليست من مبتدعات الشعراء ومبتكراتهم فهم يأخذونها ويأخذون معانيها من خلال الاستعمال اليومي العام.

ومما يؤكد اتجاه الهجاء في شعر دعبل نحو الشعبية في الأسلوب شيوع هذه العبارات التي تتردد على أفواه الناس في معرض احتقارهم لغيرهم والتهوين من شخصيتهم ، يقول دعبل مستهيناً بأخيه رزين :

فـــدونك عرضـــي فـــاهجُ حيـــاً وإن أمـــت فاقســـم إلا (مـــا خريـــت) علـــى قبـــري[١٢٦]

وهذه العبارة في الشطر الثاني من البيت الشعري هي مادة من الأسلوب الشعبي المتدني ، وهي عبارة يستعملها الناس إلى يومنا هذا.وكذلكدعبل قول هجاء من لا نسب صريح له :

ســـــــألته مـــــــن أبـــــــوه فقـــــــال : دينـــــــار خـــــــالي

فقلـــــت : دينـــــار مـــــن هـــــو؟ فقـــــال : والـــــي الجبـــــالِ[١٢٧]

((فبيتـه الأول منتزع من استعمال شعبي قديم ما يزال يتردد على ألسنة الناس في معرض انتقاصهموسخريتهم من نسب غيرهم ، والصيغة المتداولة في الوسط الشعبي هي : يقال من أبوك ؟ فيقول : الحصان خالي)) [١٢٨]وأيضاً لدعبل يهجو مالك بن طوق فيقول :

إنَّ ابـــــن طـــــوق وبنـــــي تغلـــــب لـــــو قتَّلـــــوا أو جرِّحـــــوا قصـــــره
لـــــم يأخـــــذوا مـــــن ديـــــة درهمـــــاً يومـــــاً ولا مـــــن أرشـــــهم بعـــــره
دمـــــاؤهم لـــــيس لهـــــا طالـــــب مطلولـــــة مثـــــل دم العـــــذره
وجـــــوههم بـــــيض وأحســـــابهم ســـــودٌ وفـــــي آذانهـــــم صـــــفره[١٢٩]

وقد اعتمد دعبل في هجائه على أسلوب العرض القصصي الذي يقدم على أساس السرد وحده بحسب الحادثة التي يرويها الشاعر..وبحسب الحديث الذي يديره على ألسنة الأشخاص وبحسب الوصف الذي يسوقه في طيات الهجاء. ((فأتخذ دعبل من الأسلوب الحكائي طريقاً لعرض المذام والمثالب بشكل مبسط يفتقر إلى النسيج القصصي المنظم)) [١٣٠]ومنها كالذي نجده في أبيات دعبل يهجو بها من سرقوه ديكه وأكلوه :

أســـــر المـــــؤذن صـــــالحٌ وضـــــيوفه أســـــر الكمـــــي هفـــــا خـــــلال المـــــاقط
بعثـــــوا عليـــــه بنـــــيهم وبنـــــاتهم مـــــن بـــــين ناتفـــــة وآخـــــر ســـــامط
يتنـــــازعون كـــــأنهم قـــــد أوثقـــــوا خاقـــــان أو هزمـــــوا كتائـــــب نـــــاعط
نهشـــــوه فانتزعتلـــــه أســـــنانهم وتهشـــــمت أقفاؤهمبالحـــــائط[١٣١]

فالأبيات المتقدمة على قصرها تحكي لنا حادثة بسيطة موجزة تعتمد على الوصف والتصوير لسلسة الحكاية وما تقوم عليه من أحداث.. فقد سقط على سطح بيت صالح بن بشر ديك طار من بيت دعبل فذبحه صالح ومن معه وشووه ، فسخر الشاعر من هؤلاء الآكلين الذين سرهم أن يأسروا ديكاَ ضعيفاً وكأنهم قد أسروا الرجل الفارس الشجاع ، ثم يصورهم وقد شغلوا أنفسهم بنتف ريش الديك وسمطه وتهيئته للأكل[١٣٢] لقد وفق دعبل بهذه المقطوعة بما آثاره من تهكم واستخفاف[١٣٣] بهؤلاء القوم إذ أعتمد في إذاعة خبر سرقتهم لديكه على أسلوب يتخذ من الصورة المضحكة طريقاً للانتقام والفضح. والذي يطّلع على ديوان دعبل سوف يجد الكثير من هذا الأسلوب القصصي الذي يرتكز عليه دعبل في هجاء الآخرين.ومما تقدم يتبين لنا أهمية الصورة الفنية والشكلية في شعر دعبل فاللغة والقافية والأسلوب وسيلة يقدم الشاعر والفنان دعبل الخزاعي عن طريقهم معانيه وأفكاره ليضمن لها الوضوح وقوة التأثير في المتلقين فهي تضفي على هذه المعاني والأفكار المجردة روحاً وحياةً وقوة ودلالة.

خاتمة البحث ونتائجه

هذا الذي تقدم هو بحث ودراسة في هجاء دعبل بن علي الخزاعي..وفق منهج اقتضته طبيعة الموضوع فكان في ثلاثة مباحث بعد تقديم. وبعد هذه الرحلة مع هجاء الشاعر جاءت خاتمة البحث على النحو الاتي :

١- إن دعبلاً بوصفه شاعراً هجّاءً كانت وراء هذه الظاهرة في شعره عدة أسباب ودوافع أثرت على شخصيته ونفسيته فجعلته سليط اللسان مولعاً بالقذف والسب والشتم ، فكان الدافع النفسي هو الأكثر تأثيراً وبعده جاء الدافع القبلي الذي يرى من خلاله دعبل بأنه من قبيلة قوية وشديدة البأس جعلته يتمتع بجرأة قوية يقدم بها على من يريد أن يهجوه ، ومن ثم الدافع الديني (التشيع) الذي ادى دوراً أساسياً في اتباع دعبل لأهل البيت ، بدت معالمه بصورة واضحة على صفحة هجاء دعبل وعلى شعره بصورة عامة ، وبعدها الدافع الاجتماعي أي الأمور الأخرى التي كانت في المجتمع والتي صدرت من الآخرين وكانت لا تروق لشاعرنا الخزاعي.

٢- لقد تنوعت الموضوعات التي تناولها دعبل في هجائه وذلك تبعاً للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحيط به فجاء منها السياسي ومنها ما كان للسخرية والاستهزاء ومنها الموضوعات الاجتماعية وكذلك الموضوعات الفاحشة والمقذعة فلم يلبث هجاؤه على لون واطار واحد بل تعددت ألوانه وضروبه وتنوعت موضوعاته.

٣- ان دعبلاً بن علي الخزاعي قد سبق ابن الرومي في اتخاذ الصورة الهازئة سبيلاً للهجاء إذ مكنه تتبع المفارقات في سلوك الناس وهيئاتهم من إجادة وصفها والخروج بتحليلها إلى السخرية الموجعة وقد مرت بنا صور في هجائه تحمل في طياتها السخرية والاستهزاء بصورة مثبتة وأكيدة ، فكان بارعاً في رسم الصور الكاريكاتورية والمضحكة لمهجويه.

٤- ان دعبلاً كان مثل الناقد الاجتماعي والسياسي فكثير من الظواهر غير الطبيعية وغير المرغوب فيها التي حدثت وحصلت أمامه فكان ينقد كل ما يراه غير مناسب طمعاً منه في محاولة إصلاح ذلك.

٥- لقد جاء هجاء دعبل خفيف الوزن في أغلبه سهل القافية بسيط اللغة واضح الأسلوب فكان يتعامل مع الصورة الشعرية التي يرسمها للآخرين تعامل فنان مقتدر يسخرها بصورة واضحة من أجل التعبير عن واقعية حياته وواقع الآخرين وحياتهم.. وكان سبب استعمال هذه السهولة هو لضمان انتشار هجائه بين الناس فاستعمل في شعره أغلب العبارات الشائعة في الوسط الشعبي والتي ترد على ألسنة العامة.

وأخيراً.. فعسى أن يكون هذا البحث إسهاماً في دراسة التراث الشعري العربي واستجلاء لبعض جوانب الشعر لدى دعبل بن علي الخزاعي..وبالله التوفيق.

الهوامش

(١) ينظر الأغاني / لابي الفرج الاصبهاني – القاهرة – طبعة دار الكتب:٢ / ١٢٣،١٢٤.

(٢) حياة الشعر في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني للهجرة / د. يوسف خليف – دار الكتاب العربي – القاهرة – ١٩٧٨:١٣٥.

(٣) الغدير في الكتاب والسنة والادب / عبد الحسين الاميني / الطبعة الأولى – ١٩٩٥ – بيروت:٥١٦.

(٤) الأغاني:٢٠ / ١٥٧.

(٥) المصدر نفسه :٢٠ / ١٨٠.

(٦) المصدر نفسه:٢٠ / ١٢١.

(٧) المصدر نفسه:٢٠ / ١٣١.

(٨) المصدر نفسه:٢٠ / ٩.

(٩) الأغاني:١٨ / ٢٩.

(١٠) نصوص مختارة من الادب العباسي / د.عبد الكريم الاشتر / الطبعة الثانية – ١٩٦٩ – بيروت – لبنان:١٨٩.

(١١) العصر العباسي الأول / د.شوقي ضيف – الطبعة التاسعة(د.ت) – دار المعارف – القاهرة – مصر:٣٢٣.

(١٢) الأساس في تاريخ الادب العربي – محمد بهجة الاثري / الطبعة الرابعة – ١٩٥٨ – مطبعة العاني – بغداد – العراق:٣٤.

(١٣) التفسير النفسي للأدب – د. عز الدين إسماعيل / الطبعة الرابعة – ١٩٨١ – دار العودة – بيروت – لبنان:١٣.

(١٤) الموجز في الادب العربي وتأريخه / حنا الفاخوري / الطبعة الأولى – ١٩٨٥ – دار الجيل – بيروت – لبنان:٢ / ٣٤٤.

(١٥) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري / قحطان رشيد التميمي / الطبعة الأولى(د.ت) – دار المسيرة – بيروت – لبنان:٣٣.

(١٦) ديوان دعبل بن علي الخزاعي / جمع وتحقيق وتقديم عبد الصاحب عمران الدجيلي / الطبعة الثانية – ١٩٧٢ – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان:١٥١ – ١٥٢.

(١٧) المصدر نفسه:٣٦١ – ٣٦٢.

(١٨) المصدر نفسه: ٣٦١.

(١٩) المصدر نفسه: ٣٢٩.

(٢٠)المصدر نفسه: ٢٠١.

(٢١) الانسجام في النفس والمجتمع / عباس مهدي البلداوي – ١٩٨٠ – مطبعة عصام – بغداد – العراق:٣٧.

(٢٢) العقدة النفسية والشعور بالنقص / عباس مهدي البلداوي / الطبعة الثانية – ١٩٧٨ – مطبعة الزهراء – بغداد – العراق:١٣.

(٢٣) ديوان دعبل الخزاعي:١٩١.

(٢٤) ينظر اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري.

(٢٥) الهجاء لجنة من الأقطار العربية / طبعة – ١٩٥٨ – دار المعارف – مصر:١١.

(٢٦) ينظر الأساس في تاريخ الادب العربي:٣٤.

(٢٧) ينظر الهجاء لجنة من الأقطار العربية:١١.

(٢٨) ينظر الأغاني:١٨ / ٤٤،٤٧،٥٧.

(٢٩) ادباء العرب في العصر العباسي / بطرس البستاني – الطبعة الرابعة – ١٩٥١ – مطبعة الناهل – بيروت – لبنان:١٣١.

(٣٠) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:٢٩١ – ٢٩٣.

(٣١) المصدر نفسه:٣٣.

(٣٢) ينظر شرح نهج البلاغة / ابن ابي الحديد / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / الطبعة الأولى – ١٩٨٧ – دار الجيل – بيروت – لبنان:١ / ٤٨٦.

(٣٣) الشعر في الحاضرة العباسية / وديعة طه نجم – الطبعة الأولى – ٧٧ – شركة كاظمة للنشر والتوزيع – بغداد – العراق:٧٦.

(٣٤) ديوان دعبل بن علي الخزاعي / ١٧٥ – ١٧٦.

(٣٥) دعبل الخزاعي / السيد محسن الأمين الحسيني العاملي / الطبعة الاولى١٣٦٨هـ – مطبعة الاتقان – دمشق – سورية:٨٨.

(٣٦) ديوان دعبل بن علي الخزاعي / ٣١٢.

(٣٧) المصدر نفسه:١٨٤.

(٣٨) شرح نهج البلاغة / ابن ابي الحديد:١ / ٤٨٦.

(٣٩) ينظر الادب العربي / د. عناد غزوان واخرون – الطبعة الأولى – ١٩٦٨ – بغداد – العراق:١٩٧.

(٤٠) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:١٤٠.

(٤١) المصدر نفسه :١٤٢.

(٤٢) الادب العربي:٢٧٧.

(٤٣) ينظر اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري:٩٣.

(٤٤) الادب العربي:٢٧٨.

(٤٥) امراء الشعر العربي في العصر العباسي / انيس المقدسي / الطبعة الأولى(د.ت) – دار العلم للملايين – دار بيروت – لبنان:٤٩.

(٤٦) الهجاء / آرثر بولاند / ترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة / الطبعة الأولى – ١٩٧٩ – دار الرشيد للطباعة – بغداد:١٤.

(٤٧) ينظر الشعر في الحاضرة العباسية:٧٩.

(٤٨) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:١٠٣.

(٤٩) ينظر الهجاء / لجنة من الأقطار العربية:١١.

(٥٠) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:٣٢٦.

(٥١) المصدر نفسه:٣٤٧.

(٥٢) دعبل الخزاعي / السيد محسن الامين:١٠١ – ١٠٢.

(٥٣) للمزيد يمكن مراجعة ديوان دعبل الخزاعي / السيد محسن الأمين.

(٥٤) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:١٧٢ – ١٧٣.

(٥٥) تاريخ الادب العربي / احمد الاسكندري واخرون / الطبعة الأولى(د.ت) – دار المعارف – مصر:١٦.

(٥٦) ينظر اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري:١٤٦.

(٥٧) ينظر الأساس في تاريخ الادب العربي:٧ – ٨.

(٥٨) دعبل الخزاعي / جرجس كنعان / الطبعة الثانية – ١٩٥٠ – النجف الاشرف – العراق:٩٤.

(٥٩) العصر العباسي الأول:٣٨.

(٦٠) فن الهجاء / إيليا حاوي / الطبعة الأولى – ١٩٦٠ – منشورات دار الشرق الجديد – بيروت – لبنان:١٣٥.

(٦١) المصدر نفسة:١٤٨.

(٦٢) ينظر أدباء العرب في العصر العباسي:١٣٦.

(٦٣) ينظر اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري:١٨ – ١٩.

(٦٤) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:١٩٨.

(٦٥) هو أبو أسحق محمد بن هارون الرشيد بويع للخلافة بعد أخيه المأمون سنة ٢١٨ هـ وكان حاجبه وصيفاً التركي..قرّب الأتراك وأعتمد عليهم في إدارة شؤون الدولة العباسية وأغدق عليهم الأموال الكثيرة ومكنهم من الدولة. توفي سنة ٢٢٧ هـ. ينظر : تاريخ اليعقوبي ، ابن واضح اليعقوبي ، الطبعة الثانية ، (د.ت) مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ج ٣.

(٦٦)ديوان دعبل بن علي الخزاعي: ١٠٢ – ١٠٣.

(٦٧)المصدر نفسه: ٣٠٨.

(٦٨) هو أبو جعفر هارون بن المعتصم أمه روميّة ، بويع للخلافة في ١٨ ربيع الأول سنة ٢٢٧ هـ وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وكان مولعاً بمجالس الطرب واللهو ، كثير الاكل والشرب مات سنة ٢٣٢ هـ في أواخر ذي الحجة.ينظر تاريخ اليعقوبي : ج٣.

(٦٩) ديوان دعبل بن علي الخزاعي : ٢٩٩ – ٣٠٠.

(٧٠) المصدر نفسه : ١٦٨.

(٧١) المصدر نفسه : ١٧١.

(٧٢) العمدة : ٢ / ١٧٢.

(٧٣) فن الهجاء : ١٥٢.

(٧٤) ديوان دعبل بن علي الخزاعي : ٢٤٤ – ٢٤٥.

(٧٥) الأغاني : ١٨ / ٤٣.

(٧٦) ديوان دعبل بن علي الخزاعي : ٢١٩.

(٧٧) المصدر نفسه :٢٢٥.

(٧٨) المصدر نفسه :٢٦٨ – ٢٦٩.

* ينظر : ديوان دعبل بن علي الخزاعي : ١٥٧، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ وهذا على سبيل المثال للحصر

(٧٩) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري : ٣٥٦.

(٨٠) المصدر نفسه : ٣٦٠.

(٨١) العمدة : ٢ / ١٧٦.

(٨٢) فن الهجاء:٨.

(٨٣) ينظر اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري:١٠٨.

(٨٤) ينظر فن الهجاء١٠١.

(٨٥) ينظر اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري:١١٠.

(٨٦) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:١٨٨.

(٨٧) المصدر نفسه:٢٦٠.

(٨٨) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:٢٦١.

(٨٩) المصدر نفسه:٢٧٤.

(٩٠) المصدر نفسه:١٥٦.

(٩١) المصدر نفسه:٢٧٧.

(٩٢) المصدر نفسه:٢.

(٩٣) ينظر اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري:١٣٢.

(٩٤) ينظر الهجاء لجنة من الأقطار العربية:١٢.

(٩٥) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري:٢١.

(٩٦) العمدة:٢ / ٧٤.

(٩٧) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:٩٤ – ٩٥.

(٩٨) المصدر نفسه:٥٩.

(٩٩) المصدر نفسه:٢٠٧.

(١٠٠) الانسجام في النفس والمجتمع:٢٩.

(١٠١) مفهوم الشعر / د. جابر احمد عصفور / الطبعة الأولى – ١٩٨٢ – المركز العربي للثقافة والعلوم – بيروت – لبنان:٣٣٦.

(١٠٢) العمدة:١ / ٨٨.

(١٠٣) أتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري:٢١٧.

(١٠٤) منهاج البلغاء وسراج الادباء / أبو الحسن حازم القرطاجني / تحقيق الحبيب بن الخوجة / الطبعة الثانية – ١٩٦٦ – دار الكتاب – تونس:٢٦٦.

(١٠٥) يمكن ملاحظة ذلك من خلال متابعة الإحصائية الواردة في كتاب اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري:٢٢٦.

(١٠٦) العروض تهذيبه وإعادة تدوينه / جلال الدين الحنفي / الطبعة الثالثة / ١٩٩١ – دار الشؤون الثقافية – بغداد – العراق:٣٥.

(١٠٧) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:١٩١.

(١٠٨) ديوان دعبل بن علي الخزاعي / عبد الكريم الاشتر:٢٠١.

(١٠٩) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:٣٥.

(١١٠) المصدر نفسه :٢٧١.

(١١١) فن الهجاء:١٤٧.

(١١٢) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري:٢٢٧.

(١١٣) العمدة:١ / ١٥٤.

(١١٤) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:١٠٨.
(١١٥) المصد نفسه : ١٨١ – ١٨٢.
(١١٦) المصدر نفسه : ١٩٣.
(١١٧) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري:٢٣٦.
(١١٨) المصدر نفسه:٢٣٧.
(١١٩) الادب العربي:٣١٦.
(١٢٠) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري:٢٤٢.
(١٢١) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:١٩١ – ١٩٢.
(١٢٢) دعبل بن علي الخزاعي:عبد الكريم الاشتر:١٨١.
(١٢٣) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:٣٠١ – ٣٠٢.
(١٢٤) الاغاني:١٨ / ١٦٧.
(١٢٥) أتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري:٢٦٢.
(١٢٦) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:٢٠١.
(١٢٧) المصدر نفسه :٢٨٦.
(١٢٨) اتجاهات الهجاء في الثالث الهجري:٢٦٦.
(١٢٩) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:١٩٢ – ١٩٣.
(١٣٠) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري:٣٥٠.
(١٣١) ديوان دعبل بن علي الخزاعي:٢٢٠.
(١٣٢) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري:٣٥٠.
(١٣٣) فن الهجاء:٤٩٠.

مصادر البحث ومراجعه

١- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري / قحطان رشيد التميمي ، الطبعة الأولى ، (د. ت) / دار المسيرة ، بيروت / لبنان.
٢- أدباء العرب في العصر العباسي / بطرس البستاني ، مطبعة الناهل ، الطبعة الرابعة (١٩٥١) ، بيروت / لبنان.
٣- أسس النقد الادبي عند العرب / أحمد أحمد بدوي ، مطبعة نهضة مصر ، الطبعة الثانية (١٩٦٠) ، جمهورية مصر العربية.
٤- أمراء الشعر في العصر العباسي / أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، (د ت) ، بيروت / لبنان
٥- الأدب العربي / عناد غزوان وآخرون ، الطبعة الأولى (١٩٦٨) ، بغداد / العراق
٦- الأساس في تاريخ الأدب العربي / محمد بهجت الأثري ، مطبعة العاني ، الطبعة الرابعة (١٩٥٨) ، بغداد / العراق.
٧- تاج العروس من جواهر القاموس / تأليف السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي / تحقيق : عبد الستار أحمد فرج ، الطبعة الثالثة (١٩٧٦) ، بيروت / لبنان.
٨- تاريخ الأدب العربي / أحمد الأسكندري وآخرون ، دار المعارف ، الطبعة الأولى(د ت)، مصر
٩- تاريخ اليعقوبي / ابن واضح اليعقوبي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الثانية (د ت) ، بيروت / لبنان.
١٠- التفسير النفسي للأدب / د. عز الدين إسماعيل ، دار العودة ، الطبعة الرابعة (١٩٨١) ، بيروت / لبنان.
١١- التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول / د. مجاهد مصطفى بهجت ، مؤسسة المطبوعات العربية ، الطبعة الأولى (١٩٨٢) ، بيروت / لبنان.
١٢- دراسات نقدية في الشعر العربي / د. بهجت عبد الغفور الحديثي ، دار الشؤون الثقافية ، الطبعة الأولى (١٩٩٢) ، بغداد / العراق.
١٣- دراسات في الشعر والشعراء / د. يونس أحمد السامرائي ، الطبعة الأولى (١٩٩٠) بغداد / العراق.
١٤- دعبل الخزاعي / جرجس كنعان ، الطبعة الثانية (١٩٥٠) ، النجف الأشرف / العراق
١٥- دعبل الخزاعي / عبد الكريم الأشتر ، مطبعة دار الفكر ، الطبعة الأولى (١٩٦٤) ، دمشق / سوريا
١٦- دعبل الخزاعي / السيد محسن الأمين الحسيني العاملي ، مطبعة الإتقان ، الطبعة الأولى (١٣٦٨ هـ) ، دمشق / سوريا.

١٧- ديوان دعبل بن علي الخزاعي / جمع وتحقيق وتقديم عبد الصاحب عمران الدجيلي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية (١٩٧٢) ، بيروت / لبنان.
١٨- شرح نهج البلاغة : ابن أبي حديد / تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، الطبعة الأولى (١٩٨٧) ، بيروت / لبنان.
١٩- شعر دعبل بن علي الخزاعي / صنفه : عبد الكريم الأشتر ، مطبوعة المجمع العلمي العربي ، الطبعة الأولى (١٩٦٤)، دمشق.
٢٠- الشعر في الحاضرة العباسية / وديعة طه نجم ، شركة كاظمة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى (١٩٧٧) ، بغداد / العراق.
٢١- الشعر والشعراء / ابن قتيبة / الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت / لبنان.
٢٢- العروض تهذيبه وإعادة تدوينه / جلال الحنفي ، دار الشؤون الثقافية ، الطبعة الثالثة (١٩٩١) ، بغداد / العراق.
٢٣- العصر العباسي الأول / د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة التاسعة (د ت) ، القاهرة / مصر.
٢٤- العصر الأموي / د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة (١٩٦٩) ، القاهرة / مصر.
٢٥- العقدة النفسية والشعور بالنقص / عباس مهدي البلداوي ، مطبعة الزهراء ، الطبعة الثانية (١٩٧٨) ، بغداد / العراق
٢٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده / أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ، الطبعة الثالثة (١٩٦٣)، مصر
٢٧- العين / الخليل بن أحمد الفراهيدي / تحقيق : د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، دار الحرية للطباعة ، الطبعة الأولى (د ت) ، بغداد / العراق
٢٨- فن الهجاء / ايليا حاوي ، منشورات دار الشرق الجديد ، الطبعة الأولى (١٩٦٠) ، بيروت / لبنان
٢٩- لسان العرب / ابن منظور الأفريقي ، دار صادر ، الطبعة الأولى (د ت) ، بيروت / لبنان
٣٠- مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر الرازي ، الطبعة الأولى (١٩٨٣) دار الرسالة / الكويت
٣١- مفهوم الشعر / د. جابر أحمد عصفور ، الطبعة الأولى ، (١٩٨٢) المركز العربي للثقافة والعلوم ، بيروت / لبنان
٣٢- المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية ، دار التحرير للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية (١٩٨٩) / مصر
٣٣- الموجز في الأدب العربي وتاريخه / حنا الفاخوري ، دار الجيل ، الطبعة الأولى (١٩٨٥) ، بيروت / لبنان.

٣٤- منهاج البلغاء وسراج الأدباء / أبو الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق الحبيب بن الخوجه، دار الكتاب ، الطبعة الثانية (١٩٦٦) / تونس.
٣٥- نصوص مختارة من الأدب العباسي / د. عبد الكريم الأشتر ، الطبعة الثانية (١٩٦٩) ، بيروت / لبنان.
٣٦- الانسجام في النفس والمجتمع / عباس مهدي البلداوي(١٩٨٠) مطبعة عصام ، بغداد / العراق.
٣٧- الهجاء / آرثر بولارد ، ترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة ، دار الرشيد للطباعة ، الطبعة الأولى (١٩٧٩) ، ، بغداد / العراق.
٣٨- الهجاء / لجنة من الأقطار العربية ، بون طبعة (١٩٥٨) دار المعارف / مصر.
٣٩-